ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

٧٢

العدد الخامس – المجلد الثاني والسبعون – شوال ١٤٤٧هـ – أبريل ٢٠٢٦م

- الهيمنة العالمية ونهايتها السيئة عبر التاريخ (افتتاحية العدد)
- من هم أهل السنة والجماعة
- عالمية الإسلام في إنسانيته العالية
- العقائد الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة
- الوراثة بين السنن الكونية والتكليف الشرعي الإسلامي
- بيع المعدوم وما يتعلق به من قضايا معاصرة
- تجَلِّيَاتُ اَللُّغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ فِي تَعْزِيزِ البعد اَلْعَرَبِيُّ
- صيغ العدد في القرآن الكريم : دراسة وصفية تحليلية
- الإلحاد وأسباب انتشاره
- صلتي بالأستاذ المعصومي وثناء العلماء والأعلام عليه
- جاهلية القرن الحادي والعشرين كما تصورها تسريبات إبستين

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- **في الهند**

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ثماني مائة (بالبريد المسجل)	٨٠٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- **في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:**

٧٥ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد ٧٢

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

April 2026

أبريل ٢٠٢٦م

العدد الخامس – المجلد الثاني والسبعون – شوال ١٤٤٧هـ – أبريل ٢٠٢٦م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع الناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم. الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحى الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الخامس — المجلد الثاني والسبعون — شوال ١٤٤٧هـ — أبريل ٢٠٢٦م

❖ أخي القارئ !

هنا موضع الداء ! — مدير التحرير — ٥

❖ الافتتاحية :

الهيمنة العالمية ونهايتها السيئة عبر التاريخ — سعيد الأعظمي الندوي — ٦

❖ التوجيه الإسلامي :

من هم أهل السنة والجماعة — العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى — ١٠

عالمية الإسلام في إنسانيته العالية — الدكتور غريب جمعة — ١٥

❖ الدعوة الإسلامية :

العقائد الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ٢٢

اللهم أغثنا — الدكتور أشرف شعبان — ٢٦

الوراثة بين السنن الكونية والتكليف الشرعي الإسلامي — الدكتور ك . ت . شكيب — ٣٣

❖ الفقه الإسلامي :

بيع المعدوم وما يتعلق به من قضايا معاصرة — د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٤١

❖ دراسات وأبحاث :

تجلّيَاتُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي تَعْزِيزِ البعد العَرَبِيُّ — أ.د . مفيدة إبراهيم علي — ٤٩

صيغ العدد في القرآن الكريم : دراسة وصفية تحليلية — د . مناهل جبارة بخيت علي — ٥٧

الإلحاد وأسباب انتشاره — الأستاذ حسّان أبو المكرم — ٦٦

❖ رجال من التاريخ :

صلتي بالأستاذ المعصومي وثناء العلماء والأعلام عليه — د . أبو سحبان روح القدس الندوي — ٧٣

❖ صور وأوضاع :

جاهلية القرن الحادي والعشرين كما تصورها تسريبات إبستين — محمد فرمان الندوي — ٨٠

❖ بأقلام القراء :

مكارم الأخلاق جوهر الإنسان — الأخ محمد إنعام الحق — ٨٤

من أزمة " اللامبالاة " إلى كارثة " اللادينية " — الأخ عبد العلى الحسني الندوي — ٨٧

❖ أخبار علمية وثقافية :

خريج دار العلوم لندوة العلماء يفوز بالمركز الأول — الأخ محمد طارق سيف الله الندوي — ٩٠

❖ في رياض الشعر والأدب :

دَلالُ السَّنَابِل وَجَمَالُ المَنَاهِل — الأخ عبد الله راغب — ٩٢

❖ إصدارات حديثة :

أعلام من العرب والعجم للشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — الأستاذ الدكتور حسن الأمراني الحسني — ٩٣

الملفوظات للداعية الكبير محمد إلياس الكاندهلوي — الأستاذ عبد الرشيد الندوي — ٩٥

أمراض المجتمع وعلاجها للشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — مدير التحرير — ٩٨

❖ إلى رحمة الله تعالى :

(١) الحاج ملك شاهنواز خان إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠٠

(٢) الطبيب محمود شبير إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

(٣) والدة الأستاذ المفتي محمد سرور الفاروقي الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠١

(٤) والد الأستاذ محمد ناصر الندوي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

أخي القارئ !

بسم الله الرحمن الرحيم

هنا موضع الداء !

أمضى سلاح لمقاومة التحديات والفتن ، وأقوى أداة لمواجهة الخطوب والمحن ، وأفضل السعادات لإحراز النجاح هو العلم ، فالعلم مصدر الفضائل ، ومجمع الشوارد ، وقد نال العلم عظمة وكرامة منذ بدء الخليقة ، ولم تتلاش قيمته ومكانته بتعاقب الحدثان ، ومضي الزمان ، وقد وجد به الإنسان بغيته قبل فوات الأوان ، هكذا كان شأن العلم ، فقد شاد الحضارات ، وأنشأ الثقافات ، وبنى الأمجاد ، وأقام الأفراد والمجتمعات على المحجة البيضاء ، فأول صيحة مدوية أطلقها الإسلام كانت تنويها للعلم ، وإشادة بالتربية .

سطع مصباح العلم من أرض تهامة ، وأنار الكون كله بأشعته اللامعة ، وأضاء العالم بإشراقاته الباهرة ، ولم يمض قرن أو قرنان إلا قد قامت الحضارة الإسلامية ، فلم تكن هذه الحضارة مجرد حضارة ، ورمزاً لطقوس وأعراف ، بل كانت تتضمن العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ،وقد كان سلفنا الصالح قد رفعوا مكانة العلم ، فقطعوا الفيافي والقفار للرحلة في طلب العلم ، وتجشموا في ذلك مصايب ونكبات ، ولم تفت أعضادهم مشكلات الزمان ونوائب الحدثان ، ولم تسحرهم الأطماع المادية ، ولا المغريات الدنيوية ، فكان العلم عندهم جزء لا يتجزأ ، ووحدة لا تتفرع ، وقوة لا تقهر ، فسمي العلم بمنبع الخيرات والبركات ، ومؤسس الحضارات والثقافات ، حتى اعتبر العهد العباسي العهد الذهبي نظراً إلى تطور العلوم والفنون .

حينما تضاءلت الخلافة العباسية ، وانقسمت إلى دويلات وأقطار انكمش العلم في حدود ضيقة ، فاستغله الغرب استغلالاً ، فكان العلم في واد ، وكافة الثقافات والحضارات في واد آخر ، وظهرت آثارها السلبية على المجتمعات البشرية ، يدعي بعض الناس أنهم علماء ، لكنهم أنصاف المتعلمين ، بل هم الجهلاء ، فظاهرة التعالم لا بد أن تقاوم بالعلم النبوي الأصيل ، وقد سلط الضوء على هذا الدكتور محمد إقبال في أبياته قائلاً : " لقد تضخم العلم وتقدمت الصناعة في أوربا ، ولكنها بحر الظلمات ليس فيه عين الحياة ، فهذا العلم والحكمة والسياسة والحكومة التي تتبجح بها أوربا مظاهر جوفاء لسيت وراءها حقيقة " .

فمصدر كل فساد ، وبؤرة كل اضطراب هو العلم العاطل من التربية والأخلاق ، والعلم المتجرد عن المثل العليا ، فالعلم بدون التربية كطير لها جناح واحد ، وعملة لها وجه واحد ، وشجرة بدون ثمر ، ولا قيمة للشجرة إلا بثمارها وأوراقها ، وهو مصدر كل زيغ وضلال ، وانحراف ودمار ، وعنف وإرهاب ، وقد صدق من قال : " الأمة تحتاج إلى تربية ، والتربية عملية جهد طويلة ، لا تنفعها جعجعة ولا صخب ، بل إنما ينفعها العمل الصامت الدؤوب " .

مدير تحرير المجلة
٢٢/ رمضان ١٤٤٧هـ

الهيمنة العالمية ونهايتها السيئة عبر التاريخ

الهيمنة العالمية نظرية دكتاتورية ، وفكرة جائرة ، تبتدئ من طريقة مخزية ، وما زالت عاقبتها وخيمة ، ونهايتها سيئة ، فكل شخص ارتفع عن مكانته ، أو تظاهر بكبريائه سامه الله خسفاً وذلاً ، وعاش بين الناس مهاناً وذليلاً ، لكن من آمن بتوحيد الله تعالى وصدَّق بمجده وجبروته وتخلق بأخلاق الله ، بكل اقتناع وبصيرة ، جعل الله له رفعةً ومكانةً سامية سامقة الذرى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، من نازعني واحداً منهما قذفته في النار (رواه أبو داود : ٤٠٩٠) ، وقال تعالى : (وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) [الجاثية : ٣٧] .

توجد دعائم الهيمنة العالمية منذ وجود الإنسان ، وتظهر آثارها حيناً لآخر على هذه الأرض ، وقد عرفت الدنيا الملوكية والإمبراطورية منذ زمن قديم ، فكان الملوك والأمراء القدامى قبل الإسلام يعاملون العبيد والإماء معاملة الذل والهوان ، وقد بلغت قساوتهم إلى حد أنهم يضيئون بجثث العبيد الأعراس ومحافل الزواج ، ويعقد بعض الناس الضعفاء بعمود ، ثم يتمرنون على الرماية بإصابة النبال إلى عيونهم ، لكن الإسلام استبدل هذه الاستراتيجية باقتحام العقبة ، وهو فك الرقبة ، وقبّح هذه العملية أشد تقبيح ، ومعلوم أن الله تعالى جعل الإنسان خليفةً ، وكانت خلافته في الأرض لتطبيق قانون الله تعالى ، لا الاستبداد برأيه أو الانفلات وراء الشهوات ، وفرض سيطرته على بني جلدته ، والخلافة في الواقع إما تكون بموت أحد أو بمرضه أو بغيبوبته ، ولا يتصور ذلك (الموت والمرض والغيبوبة) إزاء الله تعالى ، فعلم منه أن خلافة الإنسان هي خلافة تشريفية وتقديرية ، رفع الله بهذه النسبة مكانة الإنسان ، وأعلى شأنه ، وقد شرح الإمام ولي الله الدهلوي خلافة الإنسان هذه شرحاً وافياً ، وهو يقول : الخلافة قسمان : خلافة ظاهرة ، وهي إجراء

نظام الله تعالى على هذه الأرض ، وتكوين أجواء صالحة لأداء الأركان الخمسة والحقوق والواجبات ، أما الخلافة الباطنة فهي تزكية الروح وتصفية القلب ، وشحن بطاريته بالتقوى والصبر والشكر والتوكل على الله ، فكان الأنبياء عليهم السلام أصدق نموذج لهذه الخلافة على وجه الأرض ، لا يريدون إلا الإصلاح ، ولا يتوخون من خلال دعوتهم إلا إعداد الأجيال على أسس سليمة من الإيمان والإسلام .

وقد نشأت شرذمة قليلة بسبب النفس الأمارة بالسوء ، نادت بأعلى صوتها : من أشد منا قوةً ، ونحن أولو قوة ، وأولو بأس شديد ، وأنا ربكم الأعلى ، وأنا أحيي وأميت ، تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ وكان هؤلاء كلهم في زمن الأنبياء عليهم السلام ، لكن عذاب الله نزل على هؤلاء ، فلم يبق لهم الآن عين ولا أثر ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين ، وقد شهد التاريخ أن بعضاً من هؤلاء كانوا قد ربطوا علاقتهم بالله تعالى ، وآمنوا به وأسندوا جميع أمورهم إليه ، فجعلهم الله تعالى ملوك الأرض ، وذكر ابن كثير رحمه الله : أربعة من الناس كانوا ملوك الأرض : اثنان من المسلمين ، وهما سليمان عليه السلام ، وذو القرنين ، واثنان من المشركين : نمرود وبخت نصر ، (قصص الأنبياء لابن كثير : ١٧٦ ، طبع دار الكلمة ، مصر ١٩٩٧م) ، أما المسلمون فخلدت أسماؤهم خلود الزمان ، وأما المشركون فما بكت عليهم السماء والأرض ، وما كانوا منظرين .

إن فرعون كان نموذجاً للهيمنة الكاملة والسيطرة التامة بين الناس ، عاش يعتقد أنه ملك ورب، حوله رعايا في حالة خضوع تام له ، حتى جاء سيدنا موسى عليه السلام ليخبره بأن ثمة فرقاً بين الحاكم والخالق ، وأن الله هو الحاكم المطلق ، فما كان من فرعون إلا أنه قال : أنا ربكم الأعلى ! لا يريد هيمنةً ناقصةً ، بل يريدها كاملةً ، فانتهت حياته في وسط البحر غريقاً . فالهيمنة بالنسبة إليه لم تكن فقط عسكريةً أو اقتصاديةً ، بل عقائديةً وفكريةً ، وهي استحواذ تمام على المخلوق وخلعه من إطار خالقه ليكون إلهاً أكبر . قال تعالى : (فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ

نَكَالَ ٱلآخِرَةِ وَٱلأُوْلَىٰ . إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ) [النازعات : ٢٥ – ٢٦] .

كان بنو إسرائيل أمةً مختارةً من الله سبحانه وتعالى ، أفاض الله عليها نعماً كثيرةً وآلاء جسيمةً ، وجعلهم ملوكاً ، بعث الله تعالى في أسرهم أنبياء ورسلاً كثيراً ، لكنهم رفضوا دعوة الأنبياء ، حتى قتلوهم فأنزل الله عليهم عقاباً من عنده ، فجعلهم قردةً وخنازير وعبدة الطاغوت ، ونزع الله منهم الخلافة الأرضية وفوضها إلى الأمة المحمدية ، فظل بنو إسرائيل مناوئين لهذه الأمة ، ولا يزالون يمكرون لها مكراً ، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ، لكن الله حفظها من كيد الكائدين ومكر الماكرين ، وفضح فكرة اليهود للمحبوبية والمرضية عند الله تعالى ، وكونهم الشعب المختار من بين الأمم ، وأذاقهم العذاب مرتين : مرةً بيد الملك بخت نصر ، ومرةً أخرى بالملك الرومي .

عاش التتار في القرون الماضية حياة القتل والنهب ، والاستيلاء على أراضي المسلمين ، وكانت جيوشهم الجارفة تسيل كالسيول والفيضانات ، لا تترك وهاداً ولا نجاداً إلا قد استولت عليها ، وساد الناس الذعر والهلع ، وقد عاثوا في الأرض فساداً يجعل الحليم حيران ، وقد كتب المؤرخ الشهير ابن الأثير الجزري : " يا ليتني لم تلدني أمي ، ويا ليتني كنت نسياً منسياً قبل هذا " ، لكن هذا القهر والجبروت لم يستقر أمام غلبة الإسلام ، وخضع هؤلاء أمام المسلمين ، وصاروا من حماة الإسلام ودعاته إلى الله تعالى .

ملكت نظرية الحاكمية المطلقة كلاً من إستالين وهتلر ومسوليني ، وقد استخدموا كل طريق من طرق الغلبة والاستيلاء على العالم ، وأرادوا أن يجعلوا الدنيا جنةً ونعيماً خالداً لهم ، يعيشون فيها إلى أبد الآباد ، ويرث أولادهم هذه الحكومات إلى ما شاءوا ، ويتنعمون بمتاع الدنيا ، لكن الوثائق التاريخية تشهد أن إستالين الذي حكم عقدين من الزمان مات بانفجار وعاء دموي في دماغه ، غارقاً في بوله ، وسجن موسوليني ، وقضي في السجن على حياته ، ولاذ هتلر بالفرار ولم يكن له بد من أن ينتحر نفسه ، فانتحر نفسه بإطلاق النار على نفسه ،

هذا كله في القرن العشرين الميلادي .

ظل الاستعمار الأوروبي إلى قرون يستعمر البلدان ، ويقيم فيها معسكرات ومخيمات أوروبية ، وقد اتسع هذا النظام إلى قارات ، حتى جرى على لسان الناس أن شمسه لا تأفل في دولها ، وستظل حكوماته قائمةً إلى الأبد ، لكن شهد العالم أن الاستعمار قد تفكك إلى دويلات وحكومات مستقلة ، وطوي بساط الاستعمار الأوربي ، وانحسر ظل أوربا إلى عدة مدن وبلاد ، ثم جاء دور الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي ، وانقسم العالم إلى معسكرين سياسيين : الاتحاد السوفياتي ، والاتحاد الأمريكي ، ولم يلبث أن الاتحاد السوفياتي قد تبعثر كحبات المسبحة ، وأصبح قصةً تُحكى وتُروى ، وقد نشأت فكرة العولمة في القرن العشرين الميلادي أيضاً ، قال الإخصائيون : العولمة في الواقع الأمركة ، وهو الاستعمار بثوب جديد تشكله المصالح الاقتصادية ، وقال آخرون : العولمة : هي الصهينة ، وقد قال الدكتور محمد إقبال : " أيها المسلم ! ليس علاجك في جينف أو في لندن ، بل اعلم بكل ثقة أن الإنجليز يحكمهم الصهاينة ، وهم يديرون نظام العالم كله " .

إن الحرب التي فرضتها أمريكا وإسرائيل على إيران ليست إلا من قبيل الهيمنة الكاملة ، والسيطرة الجائرة على العالم ، وقد حلمت إسرائيل بمساندة أمريكا بتوسعة نطاقها من النيل إلى الفرات ، ولا تزال تحاول في تحقيق مُناها ، وليعلم أن الحاكمية المطلقة والهيمنة العالمية ليست إلا لله سبحانه ، فكل من يحلم بها في هذه الحياة الدنيا ، فكأنما رأى حلماً في منام ، ولا يتحقق هذا الحلم بإذن الله تعالى على أرض الواقع أبداً ، ويقع حالمه فريسةً للذل والهوان ، وقد بشر بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، وحتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم ! هذا يهودي ورائي فاقتله ، إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود . (متفق عليه) .

والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٤٧/٩/٢٥هـ

٢٠٢٦/٣/١٥م

من هم أهل السنة والجماعة

بقلم : العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى*
تعريب : محمد فرمان الندوي

(الحلقة الخامسة)

كتبنا في السطور المذكور أعلاه أن هذه الفرق قد قسمت البلدان والأقطار غير تقسيمها القومي ، فكان في الشام العثمانيون والنواصب وغيرهم من حماة بني أمية ، وفي العراق العلويون وأهل العجم ، فإن بني أمية ما فعلوا في ساحة كربلاء بفلذة كبد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا حسين رضي الله عنه ، وما تعرض له سبط سيدنا أبي بكر الصديق عبد الله بن الزبير من قتله وسفك دمه بكل وحشية ، وما قطع عنق سيدنا علي زيد الشهيد ثمرة فؤاد الإمام زين العابدين علي بن الحسين ، وما أريقت دماء أنصار المدينة المنورة الذين كانوا أتراساً للرسول صلى الله عليه وسلم ، بكل وقاحة ، وما سفكت دماء محدثي البصرة وعلمائها من دون خوف ولا وجل ، تندهش وتتحير من رؤيتها وسماع أحوالها المجتمعات الإسلامية .

إن قوة السيوف تخرس الألسن ، لكن لا تخرج شوك القلوب ، ولا تزيل الشكوك والشبهات ، فكانت الحاجة في ذلك إلى تدبير ديني ، وقد وجد بنو أمية هذا التدبير الديني ، وهو قضية الجبر ، أي أن الإنسان مقهور محض ، فكل ما يفعله الإنسان كان وراءه الله تعالى ، فليس الإنسان مسئولاً عن أعماله ، بل تعود مسئوليتها على الله تعالى ، فنظراً إلى هذا لم يكن الإنسان مجرماً عند الله بهذه الانتهاكات الوحشية ، بل الله هو المجرم الحقيقي (العياذ بالله) [1] .

* كبير علماء الهند ، وشيخ الندويين .

[1] كتاب الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الأخبار للشيخ

وفي مقابل ذلك تستطيعون أن تحكموا أن هؤلاء الساحرين المتدينين في العراق كيف أمكنهم أن يرفضوا تدبير أهل الشام ، وذلك بفكرة القدر ، معناها أن الإنسان مسئول عن جميع أعماله ، والقدر ليس بشيئ [1] ، وقد جعل الله الإنسان قادراً على عمله ، فهو يعمل كما يشاء ، قد ارتفع هذا النداء من العراق أول مرة ، ونادى به السنسويه أو رجل عجمي يعرف بسوسن [2] ، فضمه معبد الجهني إلى العقائد الأساسية ، مرةً زار رجال من البصرة سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه وقالوا : إن أناساً من أهل العراق يكذبون بالقدر ، ويزعمون أن الله لا يقدر على الشر ، وأن الأمر أنف ، فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أو قد

العلامة تقي اليدن أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقريزي ج ٢/ ص: ٣٥٦ ، طبع مصر : هذه فكرة الجهمية ، والجهمية هم أتباع جهم بن صفوان الترمذي مولى راسب ، وقتل في آخر دولة بني أمية ، وهو ينفي الصفات الإلهية كلها ، ويقول : لا يجوز أن يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه ، وأن الإنسان لا يقدر على شيئ ، ولا يوصف بالقدرة ، ولا بالاستطاعة ، وأن الجنة والنار يفنيان وتنقطع حركات علمهما (كتاب الخطط ج ٢/٣٤٩) .

[1] وفي صحيح مسلم عن أبي بريدة عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال بالقدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي : أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ! إنه قد ظهر قبلنا أناس ، يقرؤون القرآن ، ويتقفرون العلم ، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف ، قال : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريئ منهم ، وأنا براء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً ، فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر (كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، رقم الحديث : ١) ، وفي سنن الترمذي : باب ما جاء في القدرية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية (أبواب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

[2] كتاب الأسماء والصفات للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ، وكتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام البخاري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م) .

قالوها : إذا لقيتهم فأخبرهم أني بريئ منهم ، وأنهم براء مني أي لست منهم وليسوا مني [1] فإن معبد الجهني هو الذي ذهب بقضية القدر إلى الأوساط العلمية في البصرة ، فتوسع نطاقها شيئاً فشيئاً .

حضر معبد بن خالد الجهني وعطاء بن يسار إلى الحسن البصري ، وقالا : هؤلاء (بنو أمية) يسفكون دماء الناس ، ويقولون : كل ما نفعل هو بأمر الله وقدره ، فقال الحسن البصري رحمه الله : كذب أعداء الله ، فأخيراً ثار معبد على بني أمية ، فقتل بأمر من الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان ، وقد حمل هذا اللواء بعد معبد الجهني عمرو بن عبيد ، ومعبد بن درهم وغيلان الدمشقي ، فقتلوا واحداً بعد واحد بأيدي بني أمية ، فأثار هذا القتل والسفك في نفوس هذه الفرقة حماساً أكثر من ذي قبل ، واستخرجوا قاعدةً من هذا العمل أن زجر الظالمين والجزارين ، ودعوتهم إلى العدل والإنصاف فرض عين ، عرفت هذه الفرقة في البداية بالقدرية ، وفي النهاية ظهرت في صورة المعتزلة [2] .

آن الآن أوان طلوع شمس الدولة العباسية بعد بني أمية من أرض فارس تحت ظلال الأعلام السود ، فقد كشفت فلسفة اليونان والعجم تعقيدات الألسنة ، فكل من نطق بلسانه شيئاً أصبح ديانة ، وصارت العراق وخراسان والري وأكبر مدن فارس مراكز لصياغة الديانات وتكوين

---

[1] صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، رقم الحديث : ١ .

[2] كتب المقريزي في كتاب الخطط : وكان أول من قال بالقدر في الإسلام معبد بن خالد الجهني ، وكان يجالس الحسن بن الحسين البصري ، فتكلم في القدر بالبصرة ، وسلك أهل البصرة مسلكه ، لما رأوا عمر بن عبيد ينتحله ، وأخذ معبد هذا الرأي عن رجل من الأساورة يقال له أبو يونس سنسويه ، ويعرف بالأسواري ، فلما عظمت الفتنة به عذبه الحجاج ، وصلبه بأمر عبد الملك بن مروان سنة ٨٠هـ ، ولما بلغ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مقالة معبد في القدر ، تبرأ من القدرية ، واقتدى بمعبد في بدعته هذه جماعة ، وأخذ السلف في ذم القدرية ، وحذروا منهم كما هو معروف في كتب الحديث ، وكان عطار بن يسار يرى القدر، وكان يأتي هو معبد الجهني إلى الحسن البصري ، فيقولان له : إن هؤلاء يسفكون الدماء ، ويقولون : إنما تجزئ أعمالنا على قدر الله ، فقال : كذب أعداء الله ، فطعن عليه بهذا ومثله (كتاب الخطط : ٣٥٦) .

اللجان والجماعات ، ولد في خراسان جهم بن صفوان الترمذي ، الذي رفض جميع الصفات الإلهية ، واعتبر الله مقهوراً محضاً ، وقد نزه المعتزلة الله تعالى عن الصفات حتى صار شبهاً للمعدوم ، وقد أبدى ابن كرام السيستاني في الري عقيدة لتجسيم الله تعالى بحيث أجلسه على العرش كصورة إنسان جميل يوثق به ، ولم يوافق الذين يعتقدون التجسيم أيضاً على هذا المعتقد ، وقد أبدى في خراسان سليمان المفسر أن الله مركب من اللحم والدم ، وقال هشام بن الحكم : إن الله نوراني الجسم بدلاً من اللحم والدم ، وقال هشام بن سالم الجولقي : الله نور ، وليس لحماً ودماً ، أعلى جسمه مجوف وأسفله محكم ، وله شعور سوداء ، يملك الحواس الخمس ، له يدان ورجلان ، وفم وأنف ، وليست له لحية ، وقال بيان بن سمعان : إن لله جسماً ، لكنه يفنى يوم القيامة ، ولا يبقى إلا وجهه ، وقد رفض المعتزلة رؤية الباري جل جلاله ، وقال الآخرون : الرؤية لا تحصل بهذه الحواس الخمس ، بل يخلق الله لها حاسةً أخرى يوم القيامة .

هذا الجدل كان بالنسبة إلى ذات الله ، أما الجدل حول صفات الله تعالى فهو يبدأ بعد ذلك ، وقد رفضت الجهمية صفات الله عزوجل ، وقالت : إذا كانت الصفات الإلهية فلا بد أن تبقي أبد الآباد ، والبقاء الدائم لذات الله فقط ، فإذا كانت الصفات منفصلةً عن الذات ، فيكون وجود الله مركباً بالذات والصفات ، والله منزه عن التركيب ، وقالت المعتزلة : إن أصل الذات الإلهية بمنزلة الصفات ، وقال أهل الظواهر : الصفات لها وجود مستقل عن الذات ، وقال الأشاعرة : الصفات ليست ذاتاً ولا خارجةً عن الذات ، وقال الكعبي البلخي : في ذات الله عز وجل صفة ، وهي العلم ، والإرادة هي بمنزلة الذات .

وكذلك هناك قضايا أخرى في باب العقيدة : هل الإيمان والعمل شيئ واحد أو العمل خارج عن الإيمان ؟ وهل الإيمان عبارة عن الإقرار باللسان أو التصديق بالقلب ، أو هو مجموعة الإقرار باللسان والتصديق بالقلب ، وهل يزيد الإيمان أو ينقص ؟ وهل يجب الإيمان بالله عقلاً أو

سمعاً ، هل تثبت النبوة بالعقل أو بالكتاب والسنة ، وهل للمعجزة إمكان ؟ وهل المعجزة دليل النبوة أم لا ؟ وهل المعجزة لها صلة بالأسباب الخفية ، وهل توجد في أحكام الله مصالح وأسرار ، وهل يجري نظام الله بالأسباب ، وهل القرآن معجزة أم لا ؟ وهل أمكن تحدي القرآن أم لا ؟ وهل سلب الله من الإنسان قوة تحدي القرآن ؟ فإذا كان القرآن معجزةً ، فما نوعها ؟ نوع التنبؤ أو نوع العبادة ؟ كيف كان القرآن كلاماً إلهياً ، هل هو قديم أو حادث ؟ هل ألفاظه قديمة أو معانيه ؟ وهل للجنة والنار حقيقة أو أن لهما معنىً مجازياً ، فإذا كانت لهما حقيقة فهل هما موجودان الآن أم لا ؟ وهما يدومان إلى يوم القيامة أم يفنيان ، فمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان هل يدخل الجنة أم النار ؟ هل يعذب الإنسان في القبر أم لا ؟ هل يحرق الكفار في النار مرةً أو مراراً ؟ وهل يقدر الله على المحال والاستبعاد ؟ هل يستطيع أن يظلم أم لا ؟ وأخيراً هل يمكنه أن يكذب أم لا ؟ وما ذكرنا هنا قضية الإمامة ، وإلا خضنا في موضوع آخر .

هذا وأمثاله من مئآت الشطحات والخزعبلات نشأت في صورة القضايا الداخلية ، فمن كانت عنده نظرية وفكرة تكونت له جماعة ، فهذه القضايا تسربت إلى الفرق المختلفة نفياً أو إثباتاً ، ولم تكن هذه الاختلافات مقصورةً على اللغة والدلائل فقط ، بل سببت إلى الخصام والنزاع ، ونشأ الأشاعرة في القرن الثالث الهجري ، الذين نالوا قبولاً عاماً في المحدثين والفقهاء ، وكان مذهبهم بين العقل والنقل ، وبين آراء المعتزلة وأهل الظواهر ، وقد استفاد هذا المذهب من علوم الإمام الباقلاني وابن فورك والإمام الرازي في جانب ، وفي جانب آخر استمد من قوة الملك شاه السلجوقي ، والسلطان محمود الغزنوي ، والسلطان صلاح الدين الأيوبي ، ومحمد بن تومرت الموحدي (إسبانيا) ، فتضاءلت آثار جميع الفرق أمامها ، رغم ذلك كله لم تكن أرض بغداد (مادامت خصبةً وعامرةً) خاليةً من الفتن الداخلية من اختلافات الحنابلة والأشاعرة الذين يدعون انتماءهم إلى الكتاب والسنة .

(للبحث صلة)

عالمية الإسلام في إنسانيته العالية

دكتور/ غريب جمعة*

إذا تأملت حال البشرية قبل الإسلام وجدتها جائرة السبيل ، حائرة الدليل ، واهية العزيمة ، خائرة القوى ، تصارع عوامل الفناء في داخلها من جاهلية توثق العقل ، ووثنية تزهق الروح ، ومادية ترهق الجسد ، وعنصرية وعصبية واستعلاء وتفاخر وكلها موبقات توغر الصدور وتحيلها إلى مراجل تغلي بالحقد والظلم والبغي والعدوان .

وهل كانت عقدة النفسية اليهودية إلا هذه العنصرية ، وذلك الاستعلاء على جميع الأجناس لأنهم من وجهة نظرهم شعب الله المختار ، الشعب الأزلي ، الشعب الأبدي إيماناً بما جاء في توراتهم المحرفة مثل مقولة " لأنك شعب مقدس للرب إلهك ، قد اختارك الرب لتكون شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض " (التثنية : ١٤ : ٢) ومعنى شعب الله بالعبرية عام ألوهيم ، وهي تسمية وردت في كتابهم ، وما داموا شعب الله فجميع الشعوب في نظرهم " جوييم " أي سفلة أشرار ، بل قد توسع أحبار اليهود في استعمال هذه الكلمة فأضافوا إليها معنى القذارة الروحية والمادية والكفر " [١] .

وهل جاءت مصائب البشرية وبلاياها من حروب ومجاعات ودمار وتشريد إلا ثمرة منتنة لهذه الموبقات التي تسيطر على عقول الحمقى من قادة الأمم الذين يكرعون من خمر السلطة حتى الثمالة ، ثم تدق طبول الخراب من حولهم فيرقصون منتشين على أنغامها ، وعندئذ يحلو لأحدهم الانتحار العسكري ، ولسان حاله يقول : أنا الغريق فما خوفي من البلل !!

وجاء رحمة الله للعالمين :

في هذا الجو الرعيب أرسل الله تبارك وتعالى رسوله محمداً صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتعرف البشرية سبيلها القاصد وأمرها الراشد ولتذوق النفوس حلاوة العدل والإحسان بعدما تجرعت مرارة الظلم والعدوان .

---

* أمين رابطة الأدب الإسلامي العالمية بمصر .

[١] الشخصية اليهودية ، د . حسن ظاظا ، دار القلم ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٠م .

فكانت أول مهمة له صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد إقرار التوحيد في النفوس أن يخلع عن أتباعه عصبياتهم وعنصرياتهم وينزع عنهم لباسها بأي شكل من الأشكال ، حتى يكون المسلم إنساناً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . ومتى تحرر المسلم من العصبية والعنصرية تأبى على الخضوع والخنوع للطاغوت في أقواله وأفعاله . ولكن طواغيت الكفر في مكة ورمت أنوفهم ، ودفعتهم عزتهم وشقاقهم إلى وصفه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسحر والكذب ، بل إلى رفض عقيدة التوحيد والعجب منها . يقول اللّه تبارك وتعالى : (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [ص : ٤ — ٥] .

وغاظهم كل الغيظ أن يتساوى معهم أو يشركهم عبيدهم وضعفاؤهم وفقراؤهم في مجلسه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فنزل القرآن واضحاً كل الوضوح حاسماً كل الحسم لهذا الأمر في قوله تبارك وتعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [الكهف : ٢٨] .

على رسلكم . . أيها الطواغيت . . فقد طلع فجر جديد ، ولدت فيه الإنسانية من جديد وولدت معها كرامتها وعزتها كما أعلن ذلك خالقها ورازقها في وحي يتلى إلى يوم القيامة . يقول تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء : ٧٠] .

إنه إعلان لكرامة النوع الإنساني كله منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، فمتى وصلت البشرية اللاهثة المكدودة إلى هذا الإعلان في العصر الحديث ؟ وهل التزمت بما أعلنته أم أنها أخفقت إخفاقاً لا نظير له ؟

وبعد أن قرر تبارك وتعالى كرامة النوع الإنساني كافة توجه في خطاب عالمي إلى الناس كافة أيضاً يذكرهم بوحدة أصلهم ويخرجهم من عنصرياتهم وعصبياتهم الضيقة إلى أفق الإنسانية الرحب غير المحدود فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات : ١٣] .

وإذا تدبرت السورة التي ذكرت فيها هذه الآية وجدت النداء قد توجه قبلها خمس مرات إلى الذين آمنوا في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)

ليسمو بهم إلى أرفع الرتب والفضائل النفسية والاجتماعية . ولكنه في هذه المرة نداء للناس جميعاً ليعلن لهم أن ربهم واحد – كما أنهم من أصل واحد – فليس رب شعب من الشعوب ولا طائفة من الطوائف ولا شريك له ولا نظير .

يا أيها الناس المختلفون في ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم ، فصاروا شعوباً وقبائل مختلفة ! إنكم من أصل واحد ، والذي ناديكم هو ربكم الذي خلقكم ليبين لكم أن الحكمة من هذا الاختلاف هي التعارف والوئام ، وليس التناكر والخصام . وكأن جملة (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) كالتوطئة لما بعدها لأنهم لما تساووا في أصل الخلقة من أب واحد وأم واحدة ، كان الشأن ألا يفضل بعضهم بعضاً إلا بالكمال النفساني وهو الكمال الذي يرضاه الله لهم ووسيلته هي تقواه تبارك وتعالى ، ولذلك جعل التفاضل في الكرم " عند الله " لا عند أحد سواه إذ لا قيمة ولا اعتداد بكرم لا يعبأ به الله .

والمراد بالأكرم : الأنفس والأشرف وبالأتقى : الأفضل في التقوى وعلى قدر حظ كل منكم من التقوى يكون حظه من الكرم عند الله لأنه يعاملكم عن علم وخبرة (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

وهكذا تطيش موازين الكرامة عند الناس من بطش وفتك وعنصرية وعصبية ، ويرجح ميزان واحد هو الميزان الإلهي الذي يجب أن يتحاكم الناس إليه جميعاً " ألا وهو التقوى " .

وبهذا وضع الإسلام عن البشرية أوزار العنصرية والعصبية للتراب والطين ، والعصبية للجنس ، والعصبية للون ، والعصبية للسان ، والعصبية للقبيلة ، ورفع لهم صرح نظام إنساني عالمي ، لا تزال البشرية تلهث لتصل إلى ما يقرب منه بلة ما يماثله .

الإسلام يقدم النماذج العملية :

إن الذي يتأمل سيرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد أن دعوته إلى ذلك الكمال النفساني والرقي الإنساني والاستعلاء على العنصرية والعصبية بدأت من أول يوم نزل عليه الوحي حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى . وَقِفْ وقفة تفكر فيما قاله في خطبة الوداع يوم الحج الأكبر والتي تعتبر أول إعلان عالمي لحقوق الإنسان التي يتغنى بها آكلوها المستبيحون ، المتنكرون لها والعابثون المتاجرون بها . لقد قال قولته الخالدة التي تلقم

الخراصين أحجاراً في أفواههم : " أيها الناس – تأملوا – إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم . ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب " [1] .

ولم تقف دعوته صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند حدود الكلمة كما يفعل أصحاب الفلسفات النظرية ، بل جعلها سلوكيات عملية ومُثلاً عليا يعيشها أصحابه والتابعون لهم بإحسان .

فها هو ذا يهاجر إلى المدينة المنورة فيطلق على أهلها اسم : الأنصار ليكونوا أنصار الله ورسوله وأنصار السلام والإسلام وأنصار الإنسانية في أعلى مراتبها ، لا أنصار بلد أو دار أو لون أو جنس أو قبيلة .

ولما وجد بعضِ الأوس والخزرج يتفاخرون بآبائهم وأيامهم الماضية وما كان فيها من غلبة فريق لآخر ، قال قوله الفصل فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : " لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ، إنما هم فحم جهنم . أو ليكونن أهون على الله من الجعلان الذي يدهده الخراء بأنفه . إن الله تعالى قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ (الفخر والكبر) الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب " . (أخرجه أبو داود والترمذي وروى البزار في سنده من حديث حذيفة قريباً منه) .

أرأيت منزلة من يفتخرون بآبائهم زوراً وبهتاناً ؟ إنها دون منزلة الجِعْلان (نوع من الخنافس) ، ومن الذي يرضى لنفسه أن يهوي إلى هذه المنزلة من الحقارة والمهانة ؟

وحينما حاولت فتنة العصبية وحمية الجاهلية أن تطل برأسها ذات يوم وقف منها موقفه الغاضب الذي وأدها في مهدها فلم تقم لها قائمة بعد ذلك طيلة حياته المباركة . وإليك هذه القصة :

جاء عن زيد بن أرقم أنه قال : كنا في غزاة (هي غزوة بني المصطلق) فكسع (أي ضربه على دبره) رجل من المهاجرين اسمه جهجاه (وهو أجير لعمر بن الخطاب) رجلاً جُهينياً اسمه سنان حليفاً للأنصار .

---

[1] محمد المثل الكامل صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . محمد أحمد جاد المولى بك ، المطبعة التجارية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٣٧م .

فقال الجهني : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فسمع ذلك رسول اللّه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : " ما بال دعوى الجاهلية ؟ " قالوا كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار . فقال : " دَعُوها فإنها منتنة " أي اتركوا دعوى الجاهلية [1] .

وأي نفس تتعصب لهذه الدعوى المنتنة إلا أن يكون بها أثر من أخلاق الجاهلية المنتنة ، ومن الذي يرضى أن يتحلى بخلق منتن يفر الناس من صاحبه فرارهم من المجذوم ؟

ثم كان العجب الذي لا ينقضي منه العجب يوم فتح مكة وهو يوم النصر الأكبر للإسلام وللمسلمين ، فقد رُوي أن بلالاً رضي اللّه عنه رقى فأذن على ظهر الكعبة وهو العبد الحبشي وليس بالسيد القرشي مما أثار حفيظة عتاب بن أسيد والحارث بن هشام ، أما الأول فقال : الحمد للّه الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم ، وأما الثاني فقال : ما وجد غير هذا الغراب مؤذناً ؟ ولكن الإسلام يضع هذا الاستعلاء وتلك العصبية الكفور تحت أقدامه ولو غضب عتاب والحارث وملء الأرض من أمثالهما .

فأين أنتم يا دعاة التمييز العنصري والطبقي من هذا السمو الإنساني الذي جعل عبداً حبشياً يقف على ظهر قبلة المسلمين جميعاً في مشهد لم يتحمل رؤيته بعض صناديد قريش ؟ هل وجدتم ذلك في غير الإسلام ؟

وضرب الصحابة أروع الأمثلة :

واستجاب الصحابة لدعوة الرسول صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتنافسوا في المكرمات وتسابقوا إلى الخيرات يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً ، فجعلهم اللّه نجوم هداية وأعلام رشد وأساتذة للدنيا حيث ضربوا أروع الأمثلة في الكمال النفساني والسمو الإنساني ، ولا علينا إن كره الكارهون أو جحد الجاحدون ، فإن وقائع التاريخ تصفعهم بين الحين والآخر حتى يفيقوا من سكرتهم ويتحرروا من عنصريتهم ويثوبوا إلى رشدهم . ولو ذهبنا نضرب الأمثلة على ذلك لطال بنا المقال وأدركنا الملال . وحسبنا هذان المثلان للدلالة على ما نقول ، ومن رغب في المزيد فليرجع

[1] تفسير " التحرير والتنوير " للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للطبع والنشر ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٤م ، الجزء ٢٧ ، ص ٢٣٢ .

إلى ذلك في مظانه ليجد مزيداً فوق المزيد .

أولاً : عن المعرور بن سويد قال : رأيت أبا ذر وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسألته عن ذلك فذكر أنه سابَّ رجلا على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعيره بأمه ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه "[1] متفق عليه . [حلة : ثوب مركب من ظهارة وبطانة من جنس واحد . فيك جاهلية : أي فيك خلق من أخلاق الجاهلية . الخول : الخدم والحشم] .

ثانياً : عن أبي مسعود البدري رضي الله تعالى عنه قال : كنت أضرب غلاماً بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي : اعلم أبا مسعود ، فلم أفهم الصوت من شدة الغضب فلما دنا مني إذا هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا هو يقول : " اعلم أبا مسعود ، اعلم أبا مسعود " . قال : فألقيت السوط من يدي فقال : " اعلم أبا مسعود ، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام " .

فقلت : لا أضرب مملوكاً بعده أبداً .

وفي رواية : فسقط السوط من يدي .

وفي رواية : فقلت يا رسول الله ! هو حر لوجه الله تعالى ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أما لو لم تفعل للفحتْك النار أو لمستك النار " (رواه مسلم)[2] .

أين هذا مما يفعله دعاة المدنية من تعذيب تخجل منه الوحوش في الغابات وقد تناقلته وسائل الإعلام ، وكل يحاول أن يدرأ التهمة عن نفسه ذراً للرماد في العيون ، ولكن البغضاء قد بدت من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر . فهل نعرف نعمة الله علينا وعلى الناس ؟

ويبقى سؤال :

ولنصدق مع الله ثم مع أنفسنا في الإجابة عن هذا السؤال وهو :

هل قمنا بتنفيذ المادة الأخيرة من الإعلان النبوي العالمي لحقوق الإنسان وهي : " فليبلغ الشاهد منكم الغائب " .

---

[1] البخاري ١/ ٨٠ – ٨١ ومسلم (١٦٦١) وأخرجه أبو داود (٥١٥٨) .

[2] مسلم (١٦٥٧) .

هل قمنا بواجب التبليغ فيما بيننا ، ثم بواجب تبليغ هذا الدين العالمي الإنساني إلى أمم الأرض كافة على اختلاف لغاتهم وأجناسهم ؟ وقد شرفنا الله بأن جعلنا أمة وسطاً أي عُدولاً خياراً لنشهد على الأمم بأن أنبياءهم قد بلغوهم رسالة ربهم ، وما بنا – علم الله – من عصبية ولا عنصرية ولا استعلاء ، ولكنه فضل الله علينا في قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة : ١٤٣] ثم أضاف إلى شرف الشهادة على الأمم شرف الاختيار من بينها لنصرة دينه وتأييد شريعته ، وذلك في قوله تعالى : (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) [الحج : ٧٨] .

فهل حظيت أمة من الأمم بمثل هذا الشرف ؟ وهل قمنا بالحفاظ عليه ؟

وهذا التساؤل ليس من قبيل جَلْدِ الذات ولا كيل الاتهامات ، ولكنه كما ذكرت الصدق مع الله ثم مع النفس . إن الله تبارك وتعالى قد حذر المسلمين من مخالفة أمر نبيهم في قوله تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور : ٦٣] .

ولما سَار المسلمون خلف القرآن سَارَت الأمم خلفهم سير محبة ومهابة وإجلال لأنهم رأوا فيهم المثل العليا للإنسانية السامية ، وهي ضالتهم المنشودة ، فلما بدلوا بدَّل الله بهم والله لا يظلم مثقال ذرة فهانوا عليه ونزع مهابتهم من قلوب أعدائهم فصغروا في أعينهم وتطاولوا عليهم حتى في شخص نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقعدوا لهم كل مرصد غير مبالين بهم ، والواقع خير شاهد على ما نقول .

فهل يعود المسلمون لأداء دورهم المفقود ويحتلون مكانهم ومكانتهم في صدر الوجود ، جاعلين من كتاب ربهم دستوراً ومن سنة نبيهم نوراً ومن سلفهم الصالح أئمة يقتدى بهم ؛ فليُصلِحُ الله بهم الأرض ، ويهذب بهم الناس ويمدِّن بهم العالم المدنية الحقيقية التي تجمع بين مطالب الروح والجسد في تآلف عجيب . وعندئذ تتحرر البشرية من عبادة الطاغوت ، وسلطان القوة ، وتحكم الجهالة وأسر الأوهام وبطش الحكام . . ويكون الدين كله لله .

العقائد الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة

بقلم الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي
تعريب : محمد قيصر حسين الندوي

الإيمان هو اليقين الكامل والاعتقاد الجازم ، فبأي شيئ يجب الإيمان ؟ ذكر الله ذلك في سورة البقرة ، قال الله عز وجل : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْه من رَّبِّه وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّه وَمَلآئكَته وَكُتُبه وَرُسُله لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلَه وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البَقرة : ٢٨٥] .

وقَالَ في موضع آخر من هذه السورة : (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِق وَالْمَغْرِب وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّه وَالْيَوْمِ الآخرِ وَالْمَلآئكَة وَالْكتَاب وَالنَّبِيِّينَ) [البقرة : ١٧٧] ، وفي سورة النساء أيضاً تعليم لهذه العقائد نفسها : (يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ آمنُواْ بِاللّه وَرَسُوله وَالْكتَاب الَّذى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُوله وَالْكتَاب الَّذيَ أَنزلَ منَ قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّه وَمَلآئكَته وَكُتُبه وَرُسُله وَالْيَوْمِ الآخرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعيداً) [النساء : ١٣٦] ، وحينما سأل جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره (صحيح مسلم ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه) ، وهذا الترتيب والتفصيل قد ذكر أيضاً في الإيمان المفصل ، وسلسلة الإيمانيات هذه يقال لها العقائد ، إن العقائد لها أهمية أساسية في الإسلام ، وإذا لم تصح هذه العقائد فأعمال الإنسان الكثيرة لا قيمة لها ولا يبقى الإنسان مسلماً .

وأهم شيئ في العقائد الأساسية عقيدة التوحيد ، أما العقائد الأخرى فإنها تنبثق منها ، ويسهل للإنسان إصلاح العقائد الباقية بإصلاح عقيدة التوحيد .

الإيمان بالله :

الإيمان بالله هو اليقين الكامل والاعتقاد الجازم به . كما أخبر به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والقرآن المجيد هو كتاب الله الأخير الكامل الذي ذكرت فيه صفات الله عز وجل ، فإذا تناول القرآن صفات الله ذكرها بكل وضوح وصراحة . وآيات سورة الحشر الأخيرة أوضح مثال له ، يقول الله عز وجل : (هُوَ اللَّهُ الَّذى لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ

وَٱلشَّهَادَة هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ . هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذى لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلاَمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ .هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) [٢٢ – ٢٤] .

وإذا كانت هناك مناسبة التنزيه لصفات الله ذكرها القرآن ذكراً حيث يتضح المراد : (لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [الشورى : ١١] .

فالله فريد في ذاته ، وصفاته ، هذه هي عقيدة التوحيد التي تحمل في طيها اعتباراً أساسياً في باب الإيمانيات والعقائد ، نذكر في الصفحات الآتية تفاصيل هذه الأمور .

عقيدة التوحيد :

هو الإيمان بالله وحده ، له علاقة بذات الله وصفاته ، وكل ذرة من ذرات الكون تنادي وتصرخ أن خالق جميع الأشياء خالق وحيد فريد ، وسائر نظم الكون بيده ، و هو متصرف فيه كيف يشاء ، وله الأسماء الحسنى ، فلا بد أن يُدعى بتلك الأسماء ، ولا نعبد إلا إياه ، ولا نخضع رأسه إلا أمامه ، وتختص به سائر أعمال العبادة ، ولا يقضي الحاجات إلا هو ، ولا يكشف الكربات إلا هو .

خلق الله الدنيا وعمر فيها الإنسان وهو سيدنا آدم عليه السلام ، هو أول إنسان أهبطه الله مع زوجته حواء من السماء إلى الأرض ، وقال لهما : أنت وأولادك ما داموا يعبدون إلهاً واحداً ، ويمشون على الطريقة التي أخبر عنها الله عز وجل ينالون النجاح والفوز ، وإذا تنحوا عنها وجعلوا يعبدون غير الله فيكون مأواهم جهنم .

إن الشيطان الذي هو عدو أبدي أزلي للإنسان ، استأذن من الله تعالى في أول يوم وقال : أنا أضل الإنسان ، وأبذل كل جهد ممكن في إغوائه وذهابه إلى الباطل ، فقال الله عز وجل : اذهب واختر لإضلاله وإغوائه كل ما تملك من وسائل وتدابير لكن لا أثر لتدابيرك على عبادنا المخلصين ، منذ ذلك اليوم كان أكبر جهد للشيطان أن يلقي الإنسان في الشرك ، وينهاه عن عبادة الله وحده ، فأكبر ضلال للإنسان أن ينسى حق خالقه ويرتكب الكفر والشرك ، ويكون للأبد وقوداً لجهنم ، ومن أعظم فضل الله على الإنسان أنه أرسل رسله لهداية الناس إلى الصراط المستقيم ودعوتهم إلى عبادة الإله الواحد في كل زمان ، كانت دعوة كل

رسول : (مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰه غَيْرُهُ) [الأعراف : ٥٩] .

فآخر الرسل وأفضلهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله إلى الدنيا كلها إلى يوم القيامة ، حينما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤمنون بإله واحد ، لكنهم يشركون معه مآت من الآلهة ، وكانوا يعتقدون اعتقادات باطلة نحو ألوهيتهم ، وينذرون النذور والقرابين ، وقد نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نوع من الشرك ، واعتبره أكبر ذنب ، وقد جاء في القرآن الكريم : (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ) [النساء : ١١٦] .

كانَ الهَدف الأساسي الأصيل لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى التوحيد ، وإزالة المفاهيم الخاطئة نحو توحيد الله تعالى ، فلم يتحمل النبي صلى الله عليه وسلم أدنى تفاهم مع الشرك ، وكان يقول مشركو مكة : إذا تركت سب آلهتنا زالت عداوتنا كلها ، وأطعنا جميع أوامرك ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتوقف في هذا الأمر للمحة واحدة ، بل ظل يبين حقيقة التوحيد طول حياته ، ويوضح الفرق بين الله والعبد .

ولما شعر النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه بأن الأمة ستعتقده إلهاً مثل ما فعل النصارى مع عيسى بن مريم عليه السلام انطلق لسانه المبارك قبل وفاته بهذه الكلمات : لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (صحيح البخاري : ١٣٣٠) .

وليعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كيف كشف معاني التوحيد واضحاً ، قبل أن نتحدث عنه علينا أن نعرف عقائد مشركي مكة ، ونعرف حقيقة شركهم التي قام النبي صلى الله عليه وسلم بإصلاحها ثم نذكر بإذن الله حقيقة التوحيد في ضوء الكتاب والسنة .

عقائد مشركي مكة وتوحيد الربوبية :

إن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كانت أبديةً وعالميةً ، إلا أن المخاطبين الأولين له كانوا أهل مكة ، حينما عرض النبي صلى الله عليه وسلم عليهم دعوة التوحيد ، قالوا بكل صراحة : نحن نعتقد الله محور العبادة ، إلا أننا نعبد الآلهة الأخرى ، ليقربونا إلى الله زلفى ، وقد ذكره القرآن المجيد بقوله : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ) [الزمر : ٣] .

اتضح من هذا أنهم كانوا يعتقدون اللّه إلهاً حقيقياً ، ويؤمنون

بربوبيته ، لكنهم يشركون من دون الله في عبادته ، ونطلع على تاريخ هذه الفكرة من حديث صحيح : حدثنا إبراهيم بن موسى ، أخبرنا هشام عن ابن جريج ، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمذان ، وأما نسر فكانت لحمير ، لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك، وتنسخ العلم عُبدت (صحيح البخاري ، كتاب التفسير : ٤٩٢٠) .

هذا هو تاريخ عبادة الأصنام والأوثان ، لكنهم مع ذلك يؤقنون بأن الله عز وجل هو خالق السماوات والأرض ، وأصل الاختيار والتصرف بيده، ذكرت هذه العقيدة في القرآن الكريم ، قال الله تعالى : (قُل لِّمَنِ ٱلأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ . قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [المؤمنون : ٨٤ – ٨٨] .

وكانت نتيجة ذلك أنهم إذا أحيطوا بمصايب شديدة دعوا الله مخلصين له الدين ، وإذا زالت عنهم المصايب بدأوا يعبدون الأصنام والأوثان ، وردت في القرآن الكريم تعاملات المشركين ، قال الله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ) [يونس : ٢٢] .

يتضح من هذه الآيات أن مشركي مكة كانوا يؤمنون بالله ، وكان إيمانهم بتوحيد الربوبية إلى حد كبير ، لكنهم يعبدون الآلهة الأخرى مع الله ، ويقدمون النذور والقرابين ، ويعتبرون ذلك وسيلة للتقرب إلى الله ، فسموا مشركين ، هذا الشيئ يعرف في الاصطلاح بالشرك في الألوهية أو الشرك في العبادة ، فلا بد في هذا الباب أن يكون التوحيد في الألوهية مع التوحيد في الربوبية والتوحيد في الصفات الإلهية ، وسنذكر فيما بعد تفاصيل توحيد الألوهية وتوحيد الصفات .

(للحديث صلة)

اللهم أغثنا

الدكتور أشرف شعبان*

اللهم أغث أمة الإسلام ، وأعز دينك فيها ، قبل أن يعود الإسلام غريباً كما بدأ غريباً ، والغربة هذه لست مقصورة على زمان أو مكان معينين ، ولكنها تقع كلما استدعى حال الناس ذلك ، بحسب تمسكهم بالدين قوة أو ضعفاً ، وبحسب انتشاره أو انزوائه بينهم ، وقد تكون الغربة في بلد دون آخر أو زمن دون آخر ، ولكنها ستكون كبرى وشاملة في آخر الزمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء " صحيح مسلم . ومن مظاهرها أن يصبح الالتزام بهدي الله ، وتطبيق شريعته ، والعمل بأحكامه ، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أمراً غريباً مستنكراً بين الناس ، ينظرون إليه كأنه شأن ولى زمانه ، ومضى عهده ، ولم يعد له مكان في حياتهم الحالية ، ولم يعد يواكب واقعهم المعاصر ، فيتبعون مما تهواه أنفسهم من شرائع مبتدعة وعقائد محرفة وقوانين معوجة ، تشبع شهواتهم ، وتزين لهم سوء أعمالهم ، فيتنعمون بدنياهم لهواً ولعباً ، بما لم تبلغه الأنعام . فلا وجود لأسرة ولا لعائلة يجمعها عهد أو قرابة أو صلة ، ولا وجود لأي روابط أخوية قائمة على أساس الدين أو النسب أو الوطن ، بل جميع روابطهم وعلاقاتهم قائمة على المصلحة والمنفعة الخاصة . وليس هناك ما يسمى بالأخلاق ، ولا بالقيم ، ولا بالمثاليات ، ولا وجود لأي معيار يضبط السلوك الشخصي ويلتزم به ، سوى اللذة والمتعة فقط ، حتى لو تجاوز انفلاتها كل حد . فلم يعد هناك معنى لأن يقال : هذا حرام أو هذا حلال ، بل صار يقال : هذا يسعدني ، وهذا يغنيني ، وهذا ما يتراءى لي وأجده حسناً . وانقلبت الأمور جميعها وانعكست عما أمرنا به الإسلام . وتوزع الناس بين قلة قليلة مالكة مستغنية ، حاكمة متغطرسة يملؤها الغرور والكبر ، وكثرة كثيرة مطحونة تحت وطأة الفقر والحاجة ، مستضعفة ، مستكينة ، ومستعبدة .

* جمهورية مصر العربية .

اللهم أغثنا ، قبل أن تنقض عرى الإسلام عروةً بعد أخرى ، شيئاً فشيئاً لا دفعةً واحدةً ، إذ يتخلى الناس عنها تدريجياً ، فإذا تركوا حكماً تشبثوا بالذي يليه حتى يهجروه ، وهكذا دواليك ، وأول ما ينقض من الإسلام هو الحكم بما أنزل الله ، واستبداله بشرائع وضعية من صنع البشر ، كما هو واقع في كثير من الدول الإسلامية ، وآخر ما سيبقي من الإسلام عند الناس هو الصلاة ، حتى وإن لم تؤد على وجهها الصحيح ، إذ تبدو إماتتها في تضييعها ، وتركها عمداً أو التقصير في إقامتها أو إخراجها عن وقتها أو التهاون بأركانها وخشوعها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة " . وتتخذ الزكاة مغرماً أي ينظر إليها كعبء مالي ثقيل أو كخسارة تدفع كرها ، لا قربة ولا ابتغاء لوجه الله ، فيتحايلون للتخلص منها أو لمنعها . ويتخذ القرآن مزامير ، تعني قراءة القرآن بألحان غنائية ، تخرج الحروف عن مواضعها الأصلية ، بهدف التلذذ بالصوت وتطريب الأسماع بدلاً من تدبر معاني القرآن والعمل به . وممن يقرأون القرآن بصوت حسن ، لكن سلوكهم لا يرتقي ، إلى مرتبة من وصل أثر القرآن إلى قلبه وعمله ، فتكون تلاوتهم مجرد صوت لا يتجاوز حناجرهم ، لا يعيون القرآن ولا يطبقونه في أخلاقهم ولا في أعمالهم ، ولا يظهر له أثر في حياتهم . ويكثر حفظة القرآن ويقل فهمه وتدبره ، يهجر العمل والالتزام بأوامره ونواهيه ، فتبقى الألسنة عامرة بالآيات والقلوب خالية من هدايتها . المبالغة في تزيين المصاحف والانشغال بالشكل دون المعنى ، فيغدو الاهتمام بالأغلفة المزخرفة والصحف المزينة ، وكذا الاهتمام بالخطوط والألوان أكثر من الاهتمام بما نزل القرآن لأجله . قلة أهل المساجد ، واقتصارها على إقامة الصلوات المفروضة ثم تغلق أبوابها ، فلا يتحقق الهدف الذي من أجله أنشئت ، كما كانت في صدر الإسلام الأول ، بينما أعداد المترددين على القاعات الملحقة بالمساجد المخصصة للمناسبات الاجتماعية أكثر بكثير . تحولت خطب الجمعة عن هدفها الأساسي ، فغدت كلمات مكررة تتلى على المصلين ، كما كانت تتلى منذ عشرات السنين ، دون إنزالها أو تطبيقها على الواقع المعاصر أو معالجة لقضاياه ، وها هي ذات الخطبة تلقى في سائر المساجد ، وفق تعليمات وتوجيهات من جهات رسمية ، فلم تعد ثمرة اجتهاد الخطيب ، فتخرج

مجلجلة نابضة بالحياة ، بل صار يحمل على إلقائها حملاً ، سواء قصرت أم طالت ، والمصلون بين ساه مشغول بأمور أخرى أو نائم ، فلم تعد لها أثر في نفوس المصلين ، ولا يمتد صداها إلى خارج المسجد ، حتى إن غالبيتهم لا يتذكرون موضوع الخطبة فور خروجهم من المسجد .

اللهم أغثنا ، قبل أن تعود البشرية لعبادة الأوثان والأصنام مرةً أخرى ، وإن اختلفت عن ممارسات الماضي ، فاتخذت أشكالاً حديثة ، كعبادة الذات ، وتعظيم الأشخاص ، وتمجيد الرموز ، وتقديس الماديات كالمال والشهرة والتكنولوجيا ، إلى درجة تضاهي بها تقديس الأوثان القديمة . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة حتى يرجع ناس من أمتي إلى أوثان يعبدونها من دون الله " أخرجه مسلم . وها هو البعض يستغيث بالأموات ، وينذر لهم ، ويتوسل إليهم ، طلبا للعون أو الشفاء أو النصر أو قضاء الحاجات ، وهم قد أفضوا إلى ما هم عليه ، فلا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً ، وما كان يتم على استحياء وفي خفاء وخجل ، يمارس بجرأة وعلانية للعيان . عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من دعا ميتاً أو استغاث به فقد أشرك . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لا تدعوا الأموات ولا تستغيثوا بهم فإنهم لا يضرون ولا ينفعون .

اللهم أغثنا ، قبل تزايد موجات الإلحاد ، والخروج عن الدين ، والكفر بالغيبيات ، والإيمان بالمحسوسات ، بوتيرة لم يشهد لها من قبل ، بعد أن أصبح المناخ المحيط بالناس مهيأ ومحفزاً لهم على لذلك ، تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجاً) ، ثم قال : ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً . وقد قيل : إن هذه الزيادة ليست منسوبة لرسول الله بصيغة حديث متواتر ، لكن ذكرها بعض المفسرين على سبيل التوضيح ، حيث أشاروا : إلى أن ما أعقب هذا النصر من فتن سيجعل جماعات تخرج من الدين كما دخلوا فيه جماعات ، والخروج من الدين قد يكون إما باتباع عقائد سماوية قد حرفت من أتباعها منذ القدم ، أو بالانضمام إلى دعوات بشرية أنتجتها الفكر البشري ، أو برفض هذا وذاك معاً .

اللهم أغثنا قبل تزايد دعوات جمع الأديان في إطار واحد ، تمتزج وتتداخل ببعضها البعض ، وتذوب الفوارق ، وتختلط العقائد فلا يظل لدين عقيدة ولا عبادات ولا شرائع خاصة به ، وتلك الدعوات قد تشمل

أيضاً مختلف الملل والنحل أو حتى الملحدين ومن لا دين لهم . قال تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا منكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجـــاً) [المائدة : ٤٨] أي لكل أمة من الأمم السابقة ، ولكل نبي سبق نبينا عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، شريعة واضحة ومنهجاً يتبعونه وطريقاً يسيرون عليه ، مع اتفاقهم جميعاً في التوحيد لله عز وجل . وقال تعالى : (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُـــمْ أُمَّـــةً وَاحِـــدَةً) [النحل : ٩٣] أي لو أراد الله لجمع الناس على شريعة واحدة ، لكنه شاء أن يختلفوا ليختبرهم . دعوات من انتكاسات البشر ، لا يعرف فيه لمن تكون له المرجعية العليا ، والكلمة الفصل في الأصول العقائدية ، ولا لأي شريعة الغلبة فيما يخص الأحوال الشخصية والمعاملات المالية ، ولا لمن يكون الباع الأكبر والهيمنة فيما سيتبع من شعائر وعبادات . كيف لهم أن يجمعوا بين الشرك والتوحيد في دعوة واحدة ؟ يجمعوا بين من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ومن يقول خلاف ذلك ؟ قال تعالى في سورة الإخلاص : (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ . ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) ، وقال : (وَقُلِ ٱلْحَمْدُ للَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْـــكِ) [الإسراء : ١١١] ، وقال : (وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـــاحِبَةً وَلاَ وَلَـــداً) [الجن : ٣] ، وقال تعالى : (وَمَآ أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ من رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لآ إِلَـــٰهَ إِلاَّ أَنَاْ فَٱعْبُدُونِ) [الأنبياء : ٢٥] ، وقال : (إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لآ إِلَـــٰهَ إِلآ أَنَـــاْ فَٱعْبُدْنِى) [طه : ١٤] ، وقال : (قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَـــاْ أَوَّلُ ٱلْمُـــسْلِمِينَ) [الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣] ، كيف يجمعون بين من يقرون هذا بألسنتهم وعلى يقين به في قلوبهم ، وبين من يقول : (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ) [التوبة : ٣٠] ، ومن يتخذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، قال عز وجل : (ٱتَّخَذُوۤاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوۤاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوۤاْ إِلَـــٰهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـــٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة : ٣١] وقد قال فيهم عز وجل : (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِـــنْ إِلَـــٰهٍ إِلاَّ إِلَـــٰهٌ وَاحِدٌ) [المائدة : ٧٣] ، قال تعالى : (لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَـــرْيَمَ) [المائدة : ١٧] وكيف سيجمعون بين ما حرم الله على بعض خلقه ، وما أحله للبعض الآخر ، وهل سيكون الجميع فيه سواء ؟ وماذا نحن فاعلون فيما حرمه الله علينا من بعض الأطعمة والأشربة وبعض المعاملات المالية بينما يستحله الآخرون ؟ أيتبعوننا أم نتبعهم ، أم يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً لهم ولنا ؟ (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَـــةَ

وَٱلْدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ به) [النحل : ١١٥] ، (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلأَنصَابُ وَٱلأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة : ٩٠] (وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَا) [البقرة : ٢٧٥] وغير ذلك كثير مما لا يتسع المجال لحصرها . وإذا كان كل من اليهود والنصارى ليسوا على فرقة واحدة ولا على مذهب واحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة " الترمذي . وقد حدثت حروب وصراعات عنيفة عبر التاريخ بين الكاثوليك والأرثوذكس ، وبين الكاثوليك والبروتستانت ، بالإضافة إلى الصراعات بين الموحدين منهم والثالوثين . كذلك كانت هناك حروب وصراعات بين الفصائل اليهودية ، بالإضافة إلى خلافات وتناحر طائفي أدى إلى انقسامات حادة خاصة بين الفرق مثل الصدوقيين والفريسيين والأسينيين ، مما عكس انقسامات سياسية ودينية عميقة . مصدقاً لقوله تعالى : (وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَارَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُواْ به فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ) [المائدة : ١٤] ، (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْديهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ) [المائدة : ٦٤] فستستمر العداوة بين النصارى بعضهم بعضاً ، وبين اليهود بعضهم بعضاً إلى يوم القيامة ، قال تعالى في سورة الحشر الآية ١٤ (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ) ، ومع ذلك فإن كلاً من اليهود والنصارى يدعي عن الآخر أنه ليس على شيئ من الدين (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ) [البقرة : ١١٣] ، وقال تعالى : (وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ ٱلظَّالِمِينَ) [البقرة : ١٤٥] ، ولكن بين لنا الله الحق في قوله : (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلاَ ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة : ١٢٠] ، وقال تعالى في وصف حال الكفار والمشركين تجاهنا : (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُواْ) [البقرة : ٢١٧] ، ولو أنهم كانوا صادقين فعلاً في إدعائهم ، ويريدون ديناً واحد يجتمع عليه الناس ، ويخلصهم من بوائق الصراعات ، فلديهم الإسلام ، الذي جاء به جميع الأنبياء من لدن آدم حتى محمد عليهم السلام ، وهو دين سيدنا إبراهيم ، كما بين الله تعالى

في سورة آل عمران الآية ٦٧ (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَـٰكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) والأنبياء جميعهم إخوة ، ودينهم واحد وهو الإسلام دين التوحيد ، وإليه دعوا أقوامهم ، وإن اختلفت شرائعهم بحسب الزمان والمكان ، وقال تعالى : (إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلإِسْلاَمُ) [آل عمران : ١٩] ، وقال : (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلاَمِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ) [آل عمران : ٨٥] ، وقال تعالى على لسان سيدنا موسى مخاطباً قومه : (يا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوۤاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ) [يونس : ٨٤] ، وعلى لسان الحواريين أتباع سيدنا عيسى قال تعالى في سورة المائدة الآية ١١١ (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوۤاْ آمَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) . قال تعالى في سورة الحج الآية ٧٨ (هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ) أي أنكم كنتم تسمون " مسلمون " حتى قبل نزول القرآن الكريم ، كما ورد في الكتب السماوية السابقة التوراة والإنجيل . كما قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم : " الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد " وقال عليه الصلاة والسلام : " ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي " وفي حديث آخر : " ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني " . فليحيوا دولة الإسلام التي يعيشها في ظلها كافة أهل الكتاب مطمئنين آمنين على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ودور عبادتهم . وقال تعالى : (فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران : ٦٤] .

وأخيراً اللهم أغثنا ، قبل ما يواجه الشخص المتمسك بدينه صعوبات وفتناً ، تجعل تمسكه بدينه ، كمن يمسك قطعة من الجمر الملتهب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر " وقال عليه الصلاة والسلام : " ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنياً مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم " قيل : يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم ؟ قال : " بل أجر خمسين منكم " فكيف يكون للمتمسك بدينه في عصرنا هذا أو أي عصر آخر ، له أجر خمسين رجلاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا إذا عاش أياماً أصعب وأشد مما عاشه الصحابة ، وهم قد تحملوا ما تحملوا من أجل الإسلام ، من تعذيب وتعد بالضرب والسباب وسخرية واستهزاء ، حصار

اقتصادي واجتماعي في الشعب والأودية للتجويع ، ومنع التزاوج منهم ، وتفريق بين الأهل ، ومصادرة أملاك ومتاع من يفر منهم بدينه ، إلى غير ذلك مما أفاضت به كتب السيرة ؟ وهذا ما يتعرض له الملتزم بدينه من سخرية واستهزاء بالتزامه وتشويه لصورته والتشكيك في نوايا كل عمل يقوم به لوجه الله ، ونعته بصفات ذميمة وخبيثة وإلصاق تهم جنائية ومخلة للشرف إليه ووسمه بالإرهاب وترهيب الناس منه من خلال أجهزة إعلام تعمل على ذلك ليلاً ونهاراً ، وتسليط البلطجية والشبيحة لتتبعه أثناء تنقله والاعتداء عليه بدنياً ومعنوياً ، مصادرة أملاكه وزوجته وأبنائه وسد أبواب العمل أمامهم ، مراقبتهم على مدار الساعة وتهديد من يحاول الاتصال بهم ومد يد المساعدة إليهم ، تعرضه للمطاردات والملاحقات والتوقفات الأمنية باستمرار ، الحبس الانفرادي في السجون والتعرض للضغط المعنوي ومنع أي أخبار عنه وعن ذويه ، التعذيب البدني لا يقف عند الملتزم بل يشمل أفراد عائلته ، وتوجيه أفظع السباب والشتائم والإهانات لهم في محاولة لإذلالهم ، ودفع أهله للتبرء منه ومن أفعاله وإجبارهم على إعلان تأييدهم الكامل للنظام الذي اعتقل ابنهم وينكل به وبهم ، أو الدفع به للفرار من البلد إلى بلد آخر ، وعلى الجانب الآخر تكثر الفتن والمغريات حوله ، كإظهار صور غير الملتزمين وهم سعداء في حياتهم ، يعتلون أعلى المراكز الوظيفية ، يتقلبون في النعم ويغرقون في الملذات ويتمتعون بالثراء ، تحيط بهم السيارات الفارهة ، يرتدون ملابس على أحدث الموديلات ، ويسكنون القلل والقصور ، ينعمون باستقرار في حياتهم زوجة وأولاداً ، ويقيمون حفلات وسهرات رحلات ومنتجعات ، سفريات من بلد لآخر . وفي المقابل ينظر إلى الملتزم بالإسلام في عباداته ومعاملاته وأخلاقه ، كأنه غريب عن الناس ليس منهم ولا هم منه ، غريب بين أهل الكفر والشرك ، وغريب أيضاً بين المسلمين أنفسهم الذين انحرفوا عن منهج الإسلام الصحيح ، والغرباء هم قلة متمسكون بالدين ، ثابتون على الطاعة ، صابرون على الأذى ، وأداء الفرائض كما أمر الله دون تهاون ، يرجع إليهم الناس ويعودون إليهم كلما شاء المولى عز وجل ذلك ، وهم باقون بعملهم وعلمهم وآثارهم وإن وارى الثرى أجسادهم ، فصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : " فطوبي للغرباء " .

الوراثة بين السنن الكونية والتكليف الشرعي الإسلامي

بقلم : الدكتور ك . ت . شكيب*

مقدمة :

تُعَدُّ الوراثة من أهمِّ القضايا التي تشغل الفكر الإنساني قديماً وحديثاً ، لما لها من ارتباطٍ مباشرٍ بأصل الإنسان ، وانتقال صفاته الجسدية والنفسية عبر الأجيال . ومع تطور علم الوراثة الحديث واكتشاف الجينات والحمض النووي (DNA) ، اتسعت دائرة البحث في أسرار الخلق الإنساني . غير أن التأمل في النصوص الإسلامية يُظهر أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد تضمّنا إشاراتٍ دقيقة إلى سننٍ كونيةٍ تحكم عملية الخلق وانتقال الصفات ، مما يدل على شموليةً الرؤية الإسلامية وتكاملها .

فالمنظور الإسلامي لا يتعامل مع الوراثة باعتبارها مجرد عملية بيولوجية عمياء ، بل يراها جزءاً من النظام الإلهي المحكم الذي أودعه الله في خلقه ، مع تأكيده في الوقت نفسه على مسؤولية الإنسان وحريته في الاختيار . وفي هذا المقال نحاول بيان مفهوم الوراثة في الإسلام ، وأهم النصوص الدالة عليها ، وموقف الشريعة من القضايا المعاصرة المتعلقة بالهندسة الوراثية والفحوص الجينية .

مفهوم الوراثة في اللغة والاصطلاح :

الوراثة في اللغة مأخوذة من مادة " ورث " ، وتدلّ على انتقال الشيءِ من شخصٍ إلى آخر بعده مع بقاء أثره واستمراره . قال الله تعالى : (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) [1] ، أي انتقل إلى سليمان ما كان لداود من ملكٍ وعلمٍ ونبوة . فالوراثة هنا ليست مجرد انتقال مالٍ ، بل انتقال مقامٍ ورسالةٍ ومسؤولية . وقد بيّن المفسرون أن المقصود وراثة العلم والملك [2] ، لأن الأنبياء عليهم

* أستاذ مساعد ومشرف البحث ، قسم البحوث العربية ، كلية أنوار الإسلام العربية للبنات – مونغام ، كيرالا – الهند .

[1] القرآن الكريم ، سورة النمل : ١٦ ؛ سورة طه : ٥٠ .

[2] ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٦ ، دار طيبة للنشر

السلام إنما يورِّثون العلم والهداية ، فيستمر أثرهم في الناس جيلاً بعد جيل . ومن هنا يتضح أن مفهوم الوراثة في الاستعمال القرآني يحمل معنى الامتداد الحضاري والروحي ، لا المادي فقط .

أما في الاصطلاح العلمي الحديث ، فالوراثة هي انتقال الصفات الجسدية والوظيفية وبعض الاستعدادات النفسية من الآباء إلى الأبناء عن طريق الجينات المحمولة على الكروموسومات داخل نواة الخلية . وهذه الجينات تحمل الشفرة الوراثية التي تحدد لون العينين ، وشكل الشعر ، وفصيلة الدم ، وقابلية الإصابة ببعض الأمراض . وعند التقاء الحيوان المنوي بالبويضة تتكوّن خليةٌ جديدة تجمع صفات الأبوين بنظامٍ دقيق ، مما يفسر التشابه بين أفراد الأسرة مع بقاء التمايز الفردي .

ومن المنظور الإسلامي ، فإن هذه القوانين البيولوجية ليست مستقلةً بذاتها ، بل هي من سنن الله في الكون ؛ قال تعالى : (الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) [1] . فالله هو الذي قدّر الصفات ووجّهها بحكمته ، وجعل الأسباب تعمل وفق نظامٍ محكم . وبذلك يجتمع في فهم الوراثة البعد العلمي القائم على الملاحظة والتجربة ، والبعد الإيماني الذي يربط الظواهر بقدرة الله ومشيئته ، فيتحقق التوازن بين العلم والعقيدة .

الإشارات القرآنية إلى أصل التكوين البشري :

وردت في القرآن الكريم إشارات متعددة إلى أصل خلق الإنسان ومراحل تكوينه ، وهي إشارات ذات بعدٍ إيماني وتأملي عميق ، تدعو الإنسان إلى النظر في ذاته واستكشاف دقة النظام الإلهي في التكوين . فالقرآن الكريم لا يعرض نظرية علمية تجريبية ، وإنما يلفت الأنظار إلى سنن الخلق وإحكامها .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى) [الحجرات : ١٣] ، وفي هذه الآية تقرير لوحدة الأصل الإنساني . وقد ذكر ابن كثير أن الآية تتضمن بياناً لأصل البشر المشترك ، وأن التفاضل إنما يكون

والتوزيع ، ١٩٩٩م ، ص ١٨٨ .

[1] القرطبي ، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٤م ، ص ١٨٣ .

بالتقوى لا بالنسب [1] .

وقال سبحانه : (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ من سُلَالَة مِّن مَّاءٍ مَّهِين) [السجدة : ٨] ، والسلالة في اللغة تعني الشيئ المستخلص المنتقى ، كما بيّن الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن [2] ، مما يدل على دقة الانتقاء في بدء التكوين .

وقال تعالى : (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) [الزمر : ٦]،وقد فسّر الطبري الظلمات بأنها ظلمة البطن والرحم والمشيمة [3] ، في إشارة إلى تعدد البيئات التي يمر بها الجنين وتدرج مراحل نموه.

وتجتمع هذه الدلالات في التأكيد على أن التكوين البشري يتم وفق نظام محكم وتقدير إلهي دقيق ، كما قال تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر : ٤٩]، وهي دعوة إلى التفكر في عظمة الخالق وإتقان صنعه .

الوراثة بين الحتمية وحرية الإرادة :

من أهم ما يميز المنظور الإسلامي في فهم الإنسان هو عدم جعله الوراثة قدراً حتمياً يسلب إرادته الحرة . فالإسلام يعترف بتأثير العوامل الوراثية على بعض الصفات الجسدية والنفسية ، لكنه لا يُقر بأنها تتحكم بشكل كامل في سلوك الإنسان . فالإنسان في الإسلام ليس مجرد كائن مُسير بناءً على وراثته ، بل هو مسؤول عن أفعاله واختياراته ، كما قال الله تعالى : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [الأنعام : ١٦٤] ، ٤ ما يوضح أن المسؤولية الفردية تبقى قائمة مهما كانت العوامل الوراثية أو الظروف المحيطة .

ويُظهر الحديث الشريف " كل مولود يولد على الفطرة " (صحيح مسلم : ٢٦٥٨) [5] ، كيف أن الإنسان في بداية حياته يمتلك استعداداً طبيعياً للخير والطهارة ، وأن البيئة والتربية لهما تأثير بالغ في تشكيل

---

[1] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تفسير سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

[2] الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة (سلل) .

[3] الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تفسير سورة الزمر ، الآية ٦ .

[4] ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٩م ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

[5] مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٩١م ، ج ٤ ، ص ٢٠٤٧ .

شخصيته وتوجيه اختياراته . وبالتالي ، فإن الاستعداد الموروث لا يعني حتمية الوقوع في السلوك السلبي أو الجريمة ، بل يبقى للإنسان القدرة على التغيير والتوجيه بفضل اختياره الحر وفعاليته الشخصية .

يتجلى في هذا التوازن بين الوراثة والبيئة عدل الإسلام وواقعيته ، حيث يعترف بالتأثيرات الطبيعية دون أن يسقط المسؤولية الأخلاقية عن الفرد . فالإسلام لا يلوم الإنسان على ما يكتسبه من وراثة ، لكنه يُسائله عن خياراته وسلوكه في الحياة .

هذا الفهم العميق يُظهر كيف أن الإسلام يوفر للإنسان فرصة التغيير والتطور ، حتى وإن كان قد وُلد في ظروف صعبة أو مع استعدادات وراثية قد تؤثر عليه . إلا أن إرادة الإنسان وتوجيهه الصحيح يظل أحد الأسس التي يعتمد عليها في بناء شخصيته وتحقيق هدفه في الحياة .

اختيار الزوجين وأثره في النسل :

حثَّ الإسلام على حسن اختيار الزوجين ، إدراكاً لما لذلك من أثر بالغ في صلاح الأسرة واستقامة النسل . فالأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع ، وصلاحها ينعكس على الأفراد والأجيال . ومن هنا وجَّه النبي صلى الله عليه وسلم إلى تقديم معيار الدين في الاختيار ، فقال : " فاظفر بذات الدين تربت يداك " [1] ، وفي الحديث الآخر : " تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك " [2] . وهذا التوجيه النبوي يضع الأساس الأخلاقي والديني معياراً حاكماً في تكوين الأسرة ، لما له من أثر عميق في دوام العشرة وحسن التربية .

ولا يقتصر هذا التوجيه على البعد التعبدي فحسب ، بل يتضمن بعداً اجتماعياً وتربوياً ، إذ أن اختيار الزوجين على أساس الصلاح والاستقامة يسهم في إيجاد بيئةٍ أسريةٍ مستقرة ، تُغرس فيها القيم منذ الصغر . كما أن الصفات الخُلقية والسلوكية التي يتحلّى بها الأبوان كثيراً ما تنعكس على الأبناء من خلال التربية والمعايشة اليومية ، فضلاً

---

[1] البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، بيروت ، دار ابن كثير ، ٢٠٠٢م ، ج ٥ ، ص ١٩٥٨ .

[2] مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٩١م ، ج ٢ ، ص ١٠٨٦ .

عما قد ينتقل إليهم من خصائص عامة . ومن ثم فإن مراعاة الدين والصلاح عند الاختيار تمثل ضمانة تربوية وأخلاقية تسهم في تنشئة جيل مستقيم .

ويكشف هذا التوجيه عن بُعدٍ وقائي في التشريع الإسلامي ؛ إذ لا يكتفي بعلاج المشكلات بعد وقوعها ، بل يضع أسساً أولية تقي من أسباب الانحراف والتفكك . فحسن الاختيار ليس شأناً فردياً فحسب ، بل هو مسؤوليةٌ ذات أثرٍ اجتماعي ممتد ، إذ به تُبنى أسرةٌ صالحةٌ ، ومنها يتكوّن مجتمعٌ أكثر تماسكاً واستقامة .

الفحوصات الجينية وإثبات النسب :

مع تطوّر العلوم الحديثة برزت الفحوصات الجينية ، ولا سيما ما يُعرف بالبصمة الوراثية (DNA) ، بوصفها وسيلة علمية دقيقة للتحقق من النسب والتعرّف على الهويات . وقد أثارت هذه التقنية نقاشاً فقهياً واسعاً في العصر الحديث ، نظراً لتعلّقها بمقاصد عظيمة في الشريعة ، من أهمها حفظ النسب وصيانة الأعراض . فكان لزاماً على الفقهاء المعاصرين بيان حكم الاستفادة منها وضوابط استخدامها .

وقد بحثت هذه المسألة هيئات علمية معتبرة ، من أبرزها مجمع الفقه الإسلامي الدولي ، الذي قرر في دوراته جواز الاستفادة من البصمة الوراثية في مجالات محددة ، مثل حالات التنازع على النسب ، أو الاشتباه في المواليد ، أو التعرف على المفقودين والجثث ، لما في ذلك من تحقيق لمصالح معتبرة ، ودفعٍ للنزاع ، وإعانةٍ للقضاء على الوصول إلى الحقيقة [1] . غير أن هذه الإجازة ليست مطلقة ، بل قيّدها الفقهاء بعدم جواز استعمال الفحوص الجينية للطعن في الأنساب الثابتة شرعاً ، خصوصاً ما ثبت بالفراش أو الإقرار الصحيح ، سدّاً لذريعة العبث بالأنساب وفتح أبواب الشك والاضطراب الأسري .

ويكشف هذا الموقف عن منهجٍ أصوليٍّ راسخ في الفقه الإسلامي ، يقوم على مراعاة المقاصد والمصالح ، والانفتاح على الوسائل المستجدة ما دامت منضبطةً بالضوابط الشرعية . فالشريعة لا تعارض التقدّم العلمي من

---

[1] مجمع الفقه الإسلامي الدولي ، قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي ، جدة ، منظمة التعاون الإسلامي ، ٢٠٠٧م ، ج ١ ، ص ١٨٧ – ١٩٠ .

حيث هو علم ، بل تستثمره فيما يحقق العدل ويحفظ الحقوق ، مع الحفاظ على الثوابت القطعية التي لا يجوز المساس بها .

ومن ثم فإن إقرار الاستفادة من البصمة الوراثية في نطاقها المشروع يعكس مرونة الفقه الإسلامي وقدرته على التفاعل مع مستجدات العصر ، دون إخلال بأصوله أو مقاصده الكبرى في حفظ الدين والنفس والنسب .

الهندسة الوراثية والتحديات الأخلاقية :

أدّى التقدّم في مجال الهندسة الوراثية إلى إمكان تعديل بعض الجينات بهدف علاج أمراض وراثية خطيرة كانت تُعدّ في السابق مستعصية . ومن منظور إسلامي ، فإن الأصل في التداوي الإباحة ، بل قد يرتقي إلى الوجوب إذا تعيّن طريقاً لحفظ النفس ودفع الهلاك ؛ لأن حفظ النفس من المقاصد الكلية للشريعة . وقد قرر الفقهاء أن الوسائل الطبية الحديثة تأخذ حكم مقاصدها ، فإذا كانت تحقق مصلحة معتبرة وتدفع ضرراً محققاً ، كانت مشروعة في الجملة .

غير أن هذا الإذن ليس مطلقاً ، إذ يقيّده الإسلام بجملةٍ من الضوابط الشرعية . فمن ذلك منع كل تدخل يؤدي إلى اختلاط الأنساب أو العبث بالهوية الوراثية بما يفضي إلى اضطراب البنية الأسرية . كما يمنع التغيير الذي لا تدعو إليه حاجةٌ معتبرة ، استناداً إلى قوله تعالى : (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّه) [1] ، حيث استدل العلماء بهذه الآية على تحريم التغيير العبثي لخلق الله إذا كان قائماً على اتباع الهوى أو طلب التحسين المجرد دون ضرورة أو حاجة معتبرة [2] .

وعليه ، فإن العلاج الجيني الذي يهدف إلى إزالة مرض خطير أو الوقاية من عاهةٍ محققة يدخل في باب حفظ النفس ، وهو مقصدٌ عظيم من مقاصد الشريعة ، فيكون مشروعاً بضوابطه وتحت إشرافٍ مأمون . أما التعديل الوراثي لأغراض تجميلية بحتة ، أو لتحسين صفاتٍ شكليةٍ لا ترتبط بعلاجٍ أو ضرورة ، فإنه يخرج عن دائرة الحاجة ، وقد يندرج في باب التغيير المذموم إذا انطوى على عبثٍ أو ضررٍ أو إخلالٍ بمبدأ الكرامة الإنسانية .

---

[1] القرآن الكريم ، سورة النساء : ١١٩ .

[2] ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٩م ، ج ١ ، ص ٥١٩ .

وبذلك يتضح أن الموقف الإسلامي يقوم على الموازنة بين تشجيع التقدم الطبي النافع ، وصيانة الإنسان من التلاعب غير المنضبط بخلقه وهويته ، تحقيقاً لمقاصد الشريعة في حفظ النفس والنسب والكرامة .

الوراثة والإعجاز العلمي :

يرى بعض الباحثين المعاصرين أن في النصوص القرآنية والنبوية إشاراتٍ يمكن أن تُفهم في ضوء الاكتشافات الحديثة في علم الوراثة ، ويُدرجون ذلك ضمن ما يُعرف بـ " الإعجاز العلمي " . غير أن المنهج العلمي الرصين يقتضي قدراً كبيراً من التحفّظ ، حتى لا يُحمَّل النص ما لا يحتمل ، أو يُربط بمعطياتٍ علميةٍ قد تتغير بتغيّر الفرضيات والنظريات . فالنصوص الشرعية جاءت بلسانٍ عربي مبين ، تخاطب الناس بما يفهمون ، وتقرر أصول الهداية والإيمان ، لا تفاصيل العلوم التجريبية .

ومن ثم فإن المنهج المتوازن لا ينفي إمكان وجود توافقٍ بين دلالات بعض الآيات والحقائق العلمية الثابتة ، لكنه يرفض التكلّف في إسقاط المصطلحات الحديثة على النصوص دون قرائن معتبرة . فالقرآن يدعو إلى النظر في الخلق والتفكر في سنن الكون ، كما في قوله تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[1] ، وهو توجيهٌ عامّ إلى التأمل والبحث ، لا تقريرٌ لمناهجَ علمية تفصيلية .

وقد نبّه عددٌ من العلماء المعاصرين إلى هذا التوازن ، ومنهم العلامة يوسف القرضاوي ، الذي أكد أن القرآن كتاب هدايةٍ بالدرجة الأولى ، وأن الإعجاز فيه أوسع من أن يُحصر في الجوانب العلمية ، مع ضرورة تجنب ربطه بنظرياتٍ غير مستقرة . فالثابت أن القرآن لا يتعارض مع حقيقةٍ علميةٍ قطعية ، لأن مصدرهما واحد ؛ غير أن مجال كلٍّ منهما مختلف : فالعلم يبحث في الكيفيات والآليات ، والوحي يوجّه الإنسان إلى المعنى والغاية .

وعليه ، فإن الموقف المنهجي السليم يتمثل في إبراز دعوة القرآن إلى التفكر في نظام الخلق ، وإظهار انسجامه مع الحقائق العلمية الراسخة ، دون مغالاةٍ في ادعاء التطابق أو تحميل النصوص ما لم تُوضع له أصلاً . وبهذا يتحقق الجمع بين تعظيم النص الشرعي واحترام المنهج العلمي .

---

[1] القرآن الكريم ، سورة آل عمران : ١٩٠ .

خاتمة :

يتبيّن من هذا العرض أن الإسلام قدّم رؤيةً متوازنةً لقضية الوراثة ؛ إذ جمع بين الإيمان بسنن الله الكونية ، والإقرار بتأثير العوامل الطبيعية ، مع التأكيد على حرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله ، مصداقاً لقوله تعالى : (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [1] ، وقد تضمنت النصوص الشرعية إشاراتٍ إلى أصل التكوين الإنساني وتقديره المحكم [2] ، بما يدل على شمولية التصور الإسلامي وتكامله .

ومع تطور علم الوراثة الحديث ، تبرز الحاجة إلى الاسترشاد بالقيم الإسلامية في توجيه البحث العلمي ؛ فيُستفاد من منجزاته فيما يحقق حفظ النفس وصيانة الكرامة ، ويُتجنب ما يؤدي إلى العبث بالخلقة أو الإضرار بالإنسان . فالتقدم العلمي في المنظور الإسلامي وسيلةٌ للإعمار لا للإفساد ، وخادمٌ للإنسان لا متسلطٌ عليه .

نسأل الله أن يرزقنا بصيرةً في فهم سننه ، وأن يوفق العلماء إلى ما فيه خير البشرية ، وأن يجعل العلم سبباً لزيادة الإيمان وتعظيم الخالق ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه .

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم .
٢. ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم .
٣. البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، بيروت ، دار ابن كثير ، ٢٠٠٢م ، ج ٥ .
٤. الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، مادة (سلل) .
٥. الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تفسير سورة الزمر .
٦. القرطبي ، محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٣ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٤م .
٧. مجمع الفقه الإسلامي الدولي ، قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي ، جدة ، منظمة التعاون الإسلامي ، ٢٠٠٧م ، ج ١ .
٨. مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٩١م ، ج ٤ .

[1] القرآن الكريم ، سورة الذاريات : ٢١ .

[2] ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٩م ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .

بيع المعدوم وما يتعلق به من قضايا معاصرة

(الحلقة الرابعة الأخيرة)

د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي*

(١٠) قضية بيع وشراء تطبيقات الكمبيوتر وبرامجه عبر الإنترنت :

وفي العصر الراهن قد راج بيع وشراء تطبيقات الكمبيوتر وبرامجه عبر الإنترنت ، التي لا تترآى للناظرين في الخارج ، وليس لها وجود حِسّي في الظاهر ، وتترآى على شاشة الهاتف الجوال والحاسوب الآلي ، فهل يطلق عليها اسم المعدوم ؟ وإذا بيعت فتدعى بيع المعدوم ؟ فالحاصل أن بيعها وشراءها جائز أم غير جائز ، فإن كان جائزاً ، فما هي الشروط التي لا بدّ أن تتوافر فيها عند البيع ؟

ولا شك أن تطبيقات الكمبيوتر وبرامجه في ذاتها مال ، ولو كان لا تترآى للناظر في الخارج وليس لها وجود حِسّي في الظاهر ؛ لأنه ليس من الضروري ولا من شروط المال أن يكون له وجود حِسّي ، والمال هو ما يميل إليه الطبع ويرغب فيه الناس ؛ لذا عرّف الفقهاء البيعَ بقولهم : مبادلة شيئ مرغوبٍ فيه بشيئ مرغوب فيه [١] ، وتطبيقات الكمبيوتر وبرامجه تعتبر من الأشياء المرغوبة في زماننا ، ثم أصبح لها في العرف المعاصر قيمة مالية معتبرة لتمول الناس لها ، كحق التأليف والاختراع والابتكار ؛ فيجوز بيع وشراء تطبيقات الكمبيوتر وبرامجه عبر الانترنت ، بشرط أن لا يكون فيه غرر وتدليس وغش ، وبشرط أنها لم توضع ولم تصنع لمجرد المعصية وصدورها منها ، بحيث لا تحتمل استخدامها واستعمالها غير المعصية ، وبشرط أن لا يكون فيه دعوة وتحريك إلى منكر شرعاً ؛ لأن التسبب فيه حرام كالإعانة على المعصية بنص القرآن الكريم : (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام : ١٠٩] ؛ فيكره بيعها وشراؤها حراماً ، وإن لم تكن محركة وداعية ، إلا أنها

* عميد كلية البحث والتحقيق بجامعة العلوم ، غرها – غجرات .

١ البحر الرائق ٢٧٨/٥ ، بدائع الصنائع ١١٥/٥ ، الدر المختار ورد المحتار ٥٠٢/٤ .

تؤدي إلى إقامة المعصية بدون إحداث صنعة من المشتري فيها ، كبيع السلاح من أهل الفتنة ، فيكره بيعها تحريماً بشرط أن يعلم به البائع والمشتري ، فإن لم يكونا عالمين به يعتبران معذورين ، هذا سبب قريب ؛ فيكون حكمها باعتباره ، وأما إذا كان سبباً بعيداً بحيث لا تفضي إلى المعصية على حالتها الموجودة ؛ بل يحتاج إلى إحداث صنعة فيها كبيع الحديد من أهل الفتنة وأمثالها ، فيكره بيعها وشراؤها تنزيهاً [1] .

وإن كانت تطبيقات الكمبيوتر وبرامجه عبر الإنترنت محركةً وداعيةً إلى المعصية مباشرةً أو صنعت لمجرد المعصية وصدورها منها فلا يجوز بيعها ولا نشرها ، بل يجب إتلافها ؛ بما يلزم من ذلك التعاون على الإثم ونشره في الناس ، وكلاهما ممنوع بنص القرآن الكريم ؛ فقال تعالى : (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) [المائدة : ٢] ، (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) [القصص : ١٧] ، (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) [النور : ١٩] .

وللتوضيح أن قضية بيع وشراء تطبيقات الكمبيوتر وبرامجه عبر الإنترنت تتفرع وتتخرج على ما قرره العلماء الربانيون في صدد حق الاختراع والابتكار والتأليف والاسم التجاري ، وهو على ما يأتي :

أولاً : الاسم التجاري ، والعنوان التجاري ، والعلامة التجارية ، والتأليف والاختراع أو الابتكار ، هي حقوق خاصة لأصحابها ، أصبح لها في العرف المعاصر قيمة مالية معتبرة لتمول الناس لها ، وهذه الحقوق يعتدّ بها شرعاً ، فلا يجوز الاعتداء عليها .

ثانياً : يجوز التصرف في الاسم التجاري والعنوان التجاري أو العلامة التجارية ، أو نقل أيّ منها بعوض مالي إذا انتفى الغرر والتدليس والغش باعتبار ذلك حقاً مالياً [2] .

(١١) بيع الأثمار على الأشجار ، بعضها ظهر وبعضها لم يظهر :

وقد راجت اليوم صورة لبيع الأثمار على الأشجار ، وهي أن الثمار

---

[1] راجع : جواهر الفقه للمفتي شفيع : ٢٤٧/٢ ، وفقه البيوع : ١٩٢/١ – ١٩٣ .

[2] مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت ، من ١ إلى ٦/ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ الموافق ١٠ إلى ١٥ ديسمبر ١٩٨٨م .

قد برز بعضها على الشجر وبعضها لم يظهر ، وإذا بيعت فبيع كل من الثمار التي هي موجودة بادية على الشجر وقت العقد وما لم يخلق الآن ولم يظهر ؛ بل يأتي ويظهر بعد ذلك ويتلاحق من الثمرات ، وربما يكون هذا في شجرة واحدة ، وربما في جميع أشجار الحديقة ، فهل يجوز بيع الثمار التي هي لم تخلق وقت البيع ، بل إنها تخلق وتتلاحق بما خلقت وظهرت في كلتا الصورتين ؟

وظهور بعض الثمار دون بعضها يشمل أربع صور ؟

الصورة الأولى : أن يباع الموجود فحسب ويؤخر بيع ما لم يوجد حتى يتم وجوده ؛ فالبيع في هذه الصورة صحيح .

والصورة الثانية : أن يباع الموجود فقط بجميع ثمنه وثمن ما سيوجد ، ثم يبيح البائع للمشتري ويحلل له [1] أن ينتفع بما يحدث من الثمر ، والبيع في هذه الصورة أيضاً صحيح .

والصورة الثالثة : أن يباع الموجود بدون ذكر لما يوجد وبدون اشتراط القبض على الثمر الموجودة أو تركها ، وبعبارة أخرى أن يباع الموجود مطلقاً عن القطع أو الترك . وهذه الصورة تشمل أمرين :

الأول : أن يقبض المشتري المبيع ثم يثمر بعد القبض ثمرةً جديدةً ، وفي هذه الحالة لا يفسد البيع ، ويكون البائع شريكاً للمشتري فيما حدث من الثمرة غير المبيع لاختلاطه بالثمرة التي كانت بارزةً وقت البيع أي المبيع ، والقول قول المشتري في مقدار ما حدث من الثمرة بعد القبض ؛ لأنه في يده ، فكان الظاهر شاهداً له ، هذا ظاهر المذهب عند الحنفية .

والأمر الثاني : أن يحدث الثمر قبل القبض ، أي : قبل تخلية البائع بين المشتري والثمار ، وفي هذه الحالة يفسد البيع ؛ لأن البائع لا يمكنه تسليم المبيع إلى المشتري ؛ لتعذر التمييز بين الثمر الذي خرج بعد البيع وبين ما خرج قبل البيع ؛ لاختلاط الحادث بالموجود وقت البيع [2] .

الصورة الرابعة : أن يباع الثمر البارز الموجود والمستور المعدوم كلاهما معاً ، وفي هذا خلاف بين الفقهاء ؛ فقالت الحنفية في ظاهر

---

[1] البحر الرائق : ٣٣٥/٥ ، والتارتارخانية : ٣١٨/٨ .

[2] راجع : البناية : ٤٠/٨ ، والفقه على المذاهب الأربعة : ٢٧٠/٢ ، والبحر الرائق : ٣٢٥/٥ .

الرواية والمذهب ، وهو الأصح عندهم كما في العمادية والخلاصة من الكتب المعتمدة ، وصحّحه السرخسي الزيلعي [1] ، والشافعية والحنابلة والظاهرية والزيدية والإباضية : يجوز بيع ما ظهر منها من الخارج الأول ، وأما بيع ما خلق وظهر وما لم يخلق ولم يظهر معاً ؛ فلا يجوز ، كما هو مقتضى القياس الظاهر ، وعلله السرخسي بأنه جمع في العقد بين الموجود والمعدوم ، والمعدوم لا يقبل البيع ، وحصة الموجود غير معلومة ، والمعدوم يمكن أن لا يخرجه الله تعالى من الشجر ، ثم لا يصح بسبب عدم القدرة على تسليم المبيع أيضاً ، والحاجة تندفع ببيع أصوله . ولأن ما لم يبد صلاحه يجوز إفراده بالبيع ، بخلاف ما لم يخلق ، إلا أن الحنفية يقولون فيما لا يجوز : إن البيع فاسد ، وغيرهم يقولون : إنه باطل [2] .

هناك قول ثان عند الحنفية بجواز هذا البيع ، بحيث يجعل الموجود أصلاً مباشرةً في البيع ، وما يحدث بعد ذلك تبعاً استحساناً . قال شمس الأئمة الحلواني والإمام الجليل أبو بكر محمد بن الفضل البخاري الفضلي يفتيان بالجواز ، وبه أفتى العلامة ابن نجيم المصري في فتاواه ، وقد رجح هذا القول خاتمة المحققين ابن عابدين الشامي [3] ، وبه أخذت مجلة الأحكام العدلية . قال في الفتح : وقد رأيت روايةً عن محمد في بيع الورد على الأشجار ، فإن الورد متلاحق وجوز البيع في الكل . وجه الاستحسان هو تعامل الناس وتعارفهم ، فإنهم اعتادوا ببيع الثمار على هذه الصفة ، وفي نزع الناس عن عادتهم وتعاملهم حرج عظيم وضيق كبير [4] ، والحال أن الله تعالى مَا جَعَلَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج : ٧٨] ؛ فبناءً على ذلك قال الفقهاء : " الحرج مدفوع شرعاً " [5] ، وأجاز رسول الله

[1] راجع : فتاوى ابن نجيم المصري بهامش الفتاوى الغياثية ، ص ١١٣ ، والدر المختار ورد المحتار : ٥٥٦/٤ .

[2] راجع : بدائع الصنائع : ١٧٣/٥ ، ورد المحتار : ٤٠/٤ ، ومغني المحتاج : ٩٢/٢ ، والمغني لابن قدامة : ٩٠/٤ ، والفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي : ٢٦٠/٤ ، والموسوعة الفقهية الكويتية : ١٩٨/٩ .

[3] راجع : الهندية : ١٠٦/٣ ، والتارتارخانية : ٣١٩/٨ ، وفتاوى ابن نجيم المصري بهامش الغياثية ، ص ١١٣ ، والدر المختار ورد المحتار : ٥٥٦/٤ .

[4] فتح القدير : ٢٩١/٦ ، البحر الرائق : ٥٠٣/٥ ، رد المحتار : ٥٥٦/٤ .

[5] بدائع الصنائع : ٢٤٦/١ ، البناية للعيني : ٣٢٠/١٢ ، شرح التلويح على التوضيح

صلى الله عليه وسلم السلم ورخّصه لضرورة الناس وحاجتهم ورفع الحرج عنهم ، كذلك الحال هنا [1] . قال العلامة ابن عابدين الشامي : " لا يخفى تحقق الضرورة في زماننا ، ولا سيّما في مثل دمشق الشام كثيرة الأشجار والثمار . . . ولا يخفى أن هذا مسوّغ للعدول عن ظاهر الرواية " [2] .

وقال المالكية وابن تيمية وابن القيم والشيعة الإمامية ، وهو الراجح عند متأخري الحنفية كما سبق آنفاً : يصح البيع بما أسلفنا ، وعملاً بحسن الظن بالله عز وجل ، وبمسامحة الإنسان لأخيه بجزء من الثمن المقابل الذي يخرجه الله تعالى من الثمرة ، ولجريان العرف وعادة الناس به . ولأن ذلك يشق تمييزه ، فجعل ما لم يظهر تبعاً لما ظهر ، كما أن ما لم يبد صلاحه تبع لما بدا [3] . ومن الأصول الثابتة المقررة أنه قد يجوز تبعاً ما لا يجوز قصداً . وقال ملك العلماء الكاساني : " وَقَالَ مَالِكٌ – رَحِمَهُ اللَّهُ – إذَا ظَهَرَ فِيهِ الْخَارِجُ الأَوَّلُ يَجُوزُ بَيْعُهُ ؛ لأَنَّ فِيهِ ضَرُورَةً ؛ لأَنَّهُ لا يَظْهَرُ الْكُلُّ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، بَلْ عَلَى التَّعَاقُبِ بَعْضُهَا بَعْدَ بَعْضٍ فَلَوْ لَمْ يَجُزْ بَيْعُ الْكُلِّ عِنْدَ ظُهُورِ الْبَعْضِ لَوَقَعَ النَّاسُ فِي الْحَرَجِ [4] .

ألف – العبرة بظهور الثمار مطلقاً :

قد عُلم أن ما ظهر من الثمار يجعل أصلاً مباشرةً في البيع وما لم يظهر يُجعل تبعاً ، والسؤال المهم : هل يعتبر الخارج من الثمار مطلقاً أم يقيّد بالأكثر لصحة البيع ؟ فقال بعضهم : ليس من الضروري أن يكون الخارج أكثر مما لم يخرج ولم يظهر ، ويُعلم من عبارة العلامة ابن عابدين الشامي أنه ركنَ إليه حملاً قولَ الإمام الفضلي على مطلق الجواز سواء كان الخارج أكثر أم أقل ، فقال : " (لَوْ الْخَارِجُ أَكْثَرَ) ذَكَرَ فِي الْبَحْرِ عَنْ الْفَتْحِ أَنَّ مَا نَقَلَهُ شَمْسُ الأَئِمَّةِ عَنْ الإِمَامِ الْفَضْلِيِّ لَمْ يُقَيِّدْهُ عَنْهُ

للتفتازاني : ١٣/٢) ، و" الأمر إذا ضاق اتسع وإذا اتسع ضاق " (الأشباه والنظائر لابن المصري : ٨٨/١ ، للسبكي : ٤٩/١ ، للسيوطي : ٨٣/١ .

[1] الفقه على المذاهب الأربعة : ٢٧٠/٢ .

[2] رد المحتار : ٥٥٩/٤ .

[3] راجع : بداية المجتهد : ١٥٦/٢ ، والقوانين الفقهية ، ص ٢٦١ ، وإعلام الموقعين : ١٢/٢ ، والمختصر النافع ، ص ١٥٤ ، والمغني لابن قدامة : ٢٠٧/٤ .

[4] بدائع الصنائع : ٣٢٧/٤ .

بِكَوْنِ الْمَوْجُودِ وَقْتَ الْعَقْدِ أَكْثَرَ بَلْ قَالَ : عَنْهُ أَجْعَلُ الْمَوْجُودَ أَصْلاً ، وَمَا يَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ تَبَعاً " [1] .

وكذلك يظهر من عبارة الشرح الصغير والكبير في صدد بيع الثمر حين بدو الصلاح في بعض حائط دون بعض أن المالكية يجوزون البيع إذا كان الخارج أقل أيضاً حتى في نخلة واحدة يكفي لجواز بيع الجميع من جنسه ، فجاء في الشرح الصغير : " (وَبُدُوُّهُ) : أَيْ الصَّلاحِ (فِي بَعْضٍ) مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ وَلَوْ نَخْلَةً (كَافٍ فِي) جَوَازِ بَيْعِ الْجَمِيعِ مِنْ (جِنْسِهِ) لا فِي غَيْرِ جِنْسِهِ " [2] .

وقيّد العلامة علاء الدين الحصكفي وصاحب اللباب وصاحب المحيط البرهاني وصاحب الهداية وشراح الهداية مثل العيني والبابرتي فتوى شمس الأئمة الحلواني والإمام الفضلي بالجواز لو الخارج أكثر [3] ؛ لأن الأكثر يقوم مقام الكل [4] . ولأن الأقل يجعل تابعاً للأكثر ، فالأكثر لا يجعل تابعاً للأقل [5] ، وبه أخذ في قرار المؤتمر الفقهي الإسلامي – الهند في المؤتمر الفقهي التاسع والعشرين المنعقد في شهر صفر ١٤٤٣هـ الموافق أكتوبر ٢٠٢٣م ، وفيه احتياط ؛ لأن بيع المعدوم مع المعلوم جُوّز استحساناً لتعامل الناس نظراً إلى حاجتهم خلافاً للقياس ، وتندفع الحاجة بما كان الخارج أكثر ، فلا تمس الحاجة الملحة إلى جواز البيع بما إذا كان الخارج أقل أيضاً ، فالأمر يعود إلى القياس ، ويبقى الأمر فيما وراء الحاجة موكولاً إلى القياس ، وهو عدم جواز بيع المعدوم ، وهو ظاهر الرواية والمذهب عند الحنفية ، فلا يجوز العدول عنه بدون حاجة ملحة ؛ لأن المسوِّغ للعدول عنه هو الحاجة ، فلم تبق الحاجة فيما إذا كان الخارج

---

[1] رد المحتار : ٥٥٦/٤ .

[2] حاشية الصاوي على الشرح الصغير : ٢٣٥/٣ ، راجع أيضاً الشرح الكبير للدردير : ٢٧١/٣ .

[3] راجع : المحيط البرهاني : ٣٣٤/٦ ، والدر المختار : ٣٩٩/١ ، واللباب : ١٠/٢ ، والبناية للعيني : ٤١/٨ ، والعناية : ٢٩١/٦ .

[4] الهداية على هامش البناية : ٩٦٤/١٢ .

[5] المحيط البرهاني : ٣٣٤/٦ .

أقل . والله أعلم بالصواب .

ب – هل يدخل جميع أشجار البستان من مختلف الأجناس أو بساتين في جواز البيع ؟

وكل ما سبق إذا جُمِع في البيع ما ظهر من الثمار وما لم يظهر من الأشجار من جنس واحد في بستان واحد دون مختلف الأجناس من الرمان والأنبج والكمثرى والبرتقال وغيرها ، ودون عدة بساتين ولو من جنس واحد ؛ فلو جمع ما ظهر من الثمار وما لم يظهر في البيع من الأشجار من مختلف الأجناس من بستان واحد أو عدة بساتين ، أو من جنس واحد من عدة بساتين ، لا يصح البيع ولا ينعقد شرعاً ؛ بل يفسد ؛ لأن ذلك شُرع استحساناً وفاءً بحاجة الناس وقضاءً لضرورتهم خلافاً للقياس ؛ فيناسب أن يقتصر على قدر ما تندفع الحاجة والضرورة ، ولا يوسّع نطاق الجواز بدون حاجة ، ولا شك أن حاجة الناس تندفع ببيع ما ظهر من الثمار وما لم يظهر جميعاً في أشجار بستان واحد من جنس واحد ، والقاعدة الفقهية المعروفة ، وهي : ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها [1] .

خلاصة البحث :

(١) المعدوم لغة : ضد الموجود ، و اصطلاحاً : فهو بيع ما تعذر تسليمه لعدم وجوده حقيقةً أو لحصول الخطر بانعدامه وقت التسليم .

(٢) علة النهي عن بيع المعدوم : هي الغرر دون المعدوم ؛ لأن حديث النهي عن بيع المعدوم معلل بالغرر .

(٣) عقد الاستصناع جُوّز استحساناً لا قياساً ، ووجه الاستحسان حاجة الناس ورفع الحرج ودفعه عنهم وتعاملهم وتعارفهم من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا .

(٤) يجوز البيع شرعاً في أشياء يمكن ضبط صفاتها ومعرفة قدرها ويغلب على الظن وجودها وقت التسليم عند حلول الأجل مع توافر المقدار والصفات المتفق عليها بين البائع والمشتري .

(٥) يصح بيع الشقق السكنية المعدومة الموجودة على الخريطة دون الأرض وقت العقد بمواصفات منضبطة مع مراعاة شروط صحة

[1] الأشباه والنظائر لابن نجيم المصري : ٨٧/١ .

الاستصناع .

(٦) لا يجوز للمستصنع بيع الشقق وغيرها قبل القبض عليها .

(٧) إن كانت الأرض ملكاً للمستصنع أي مالك الأرض ، وهو يطلب من المقاول أي الصانع أن يبني عليها مبنىً حسب تصميم محدد منقش على الخريطة ، فينظر :

(ألف) إن كانت المقاولة لعمل البناء فحسب ، والمواد البنائية كلها يعطيها مالك الأرض أي المستصنع ، فهذه الصورة جائزة على أنها إجارة ، وتجري عليها أحكام إجارة الأشخاص الأجراء .

(ب) وإن كانت المقاولة لعمل البناء مع توفير المواد البنائية من جهة المقاول الصانع دون المستصنع صاحبِ الأرض ، فهذا عقد الاستصناع ويجوز مع مراعاة شروط صحته .

(ج) وإذا كانت المواد البنائية من كلا الجانبين ، أي بعضها من المقاول الصانع ، وبعضها من مالك الأرض المستصنع ؛ فإن كان ما يقدمه المقاول فهو شيئ قليل ، يأخذ حكمَ الإجارة ، وإن كانت معظم المواد البنائية أو الجوهرية منها من قِبَل المقاول ، فالظاهر أنه استصناع دون إجارة .

(٨) يجوز بيع وشراء تطبيقات الكمبيوتر وبرامجه عبر الانترنت بشرط أن لا يكون فيه غرر وتدليس وغش ، ولم تصنع لمجرد المعصية وصدورها منها ، ولم تصنع كذلك محركة ولا داعية إلى منكر .

(٩) بيع الأثمار على الأشجار بعضها ظهر وبعضها لم يظهر ؛ فإن كان يباع الموجود فحسب فالبيع صحيح ، وإن كان يباع الموجود فقط بجميع ثمنه وثمن ما سيوجد ، ثم يبيح البائع للمشتري أن ينتفع بما يحدث من الثمر ، فالبيع في هذه الصورة أيضاً صحيح ، وإن كان يباع الموجود مطلقاً عن القطع أو الترك ؛ فينظر : إن كان يقبض المشتري المبيع ثم يثمر بعد القبض ثمرة جديدة ، لا يفسد البيع ، ويكون البائع شريكاً للمشتري فيما حدث من الثمرة ، وإن كان أثمر قبل تخلية البائع بين المشتري والثمار ، يفسد البيع ، وإن كان يباع الثمر البارز الموجود والمستور المعدوم كلاهما معاً ، يجوز بجعل الموجود أصلاً في البيع ، وما يحدث بعد ذلك تبعاً له استحساناً .

تجلّيات اللّغة العربيّة في تعزيز البعد العربيّ

أ. د . مفيدة إبراهيم علي*

إن اللغة العربية هي لغة الوحي الإلهي وسبب لحفظها وخلودها ، فهي ليست مجرد وسيلة للتعبير ، بل هي جوهر الرسالة الإسلامية التي اختارها الله لقدرتها على استيعاب المعاني الدقيقة ، وبإعجازها البلاغي والنحوي وغيرهما .

ولقد أثرت اللغة العربية بشكل هائل ، بمختلف العلوم قديماً وحديثاً ، وظلت محفورةً ومحفوظةً بفضل القرآن الكريم ، مما جعلها لغةً عالميةً وراسخةً حتى اليوم ، لقوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) [الرعد : ٣٧] .

واللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَقْدَمُ وَأَرْسَخُ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ فِي خَصَائِصِهَا اللُّغَوِيَّةِ وَهِيَ وَسِيلَةُ التَّوَاصُلِ الْوِجْدَانِيِّ وَالإِعْلامِيِّ فِي وَسَائِلِ الإِعْلامِ وَالآدَابِ وَالْفُنُونِ ، وَهِيَ الرَّابِطُ الْوَحِيدُ بَيْنَ تَارِيخِنَا وَقُرْآنِنَا .

لقد كانت اللغة العربية قديماً ولا تزال حديثاً ، تمثل دوراً خطيراً في حياة المجتمعات ، وقد فاق العرب جميع الأمم والمجتمعات من اهتمامهم بلغتهم بعد أن نزل بها القرآن الكريم على لسان نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم : (وَمَآ أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إِلاَّ بلسَانِ قَوْمِهِ) [إبراهيم : ٤] ، وقد تحول هذا الاهتمام باللغة العربية إلى أمر وجوبي لفهم وقراءة القرآن الكريم ، والسنة الشريفة وأداء العبادات ، ولدفع شرور اللحن ، والخطأ في اللغة .

إن اللغة أفضل السبل لمعرفة هوية المجتمعات وفهم خصائصها ، ولذلك كان كل نبي يرسل بلسان قومه ، ولغتنا العربية هي ركن ثابت من أركان هويتنا ، وهي الأداة التي سجلت أفكارنا وحضارتنا منذ أمد بعيد .

وهي لسان الفهم ووعاء العلم ، وحلقة الوصل التي تربط بين ماضينا وحاضرنا ، ولقد خص الله تعالى العربية فجعلها لغة الرسالة

* عميد كليات الدراسات الإسلامية والعربية (جمهورية مصر العربية) .

الخاتمة ، لما فيها من مكنون الفصاحة والبيان والبلاغة ، قال تعالى : (وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ) [النحل : ١٠٣] .

والأمة العربية تواجه محاولات اختراق لهويتها الثقافية خاصة بين الأجيال الجديدة حيث الثورة الاتصالية والتكنولوجية الراهنة التي أفرزت لغة جديدة يرى البعض أنها تتواكب مع طبيعة تطور وسائل الاتصال . لكن مع عدم المساس باللغة الأم اللغة العربية .

ولأن العربية إحدى ركائز هوية الشرق وواجهة حضارية كانت محط مخططات الدوائر الاستعمارية الغربية فسعت لمحاربتها والتشويش عليها زمن الاحتلال ودفع بلدان آسيوية وأفريقية عديدة إلى التخلي عن الكتابة بها مما أثر سلباً على لغتنا العربية . التي تمثل الوجه الثقافي الأساسي الدال على هوية الفرد ، وهوية المجتمع ، ناهيك عن كونها أداة الاتصال الأساسية بين الأفراد ، وللأسف إن اللغة المنتشرة داخل بعض المجتمعات تعبر عن انعزال الأفراد عن بعضهم ، وهذه إحدى المشكلات الكبرى التي يواجها الفرد خاصة الشباب ، وأقول : منذ أن خلق الله عز وجل اللغة على لسان آدم عليه السلام وهي في تطور مستمر . وهذا التغير في الاستعمال وفي الدلالة وفي المفاهيم ، يمثل قانوناً بشرياً اجتماعياً يعترف به في جميع لغات العالم ، ولكن دون مساس باللغة الأم لغة الدين والدنيا والآخرة لغتنا اللغة العربية . وأرى أن السبب في انتِشار هذه اللغة – أي ما يسمى باللغة المعاصرة – إلى ضعْف الوازع الدّيني ، وتغْييب معنى الهدف والغاية ، وكذلك الاغتِرار بكلّ ما هو غربي ، والاعتِقاد بأنّ الغرب هو المُنْقِذ ، مع بطلان هذا الاعتِقاد فيما أرى ، بالإضافة إلى غياب القدوة الصّالحة النّافعة ، وتفريغ عقول الشّباب من القضايا المهمّة في الوطن . إضافةً إلى تردي بعض المؤسسات التعليمية التي لا تهتم باللغة العربية . ولذلك يقول عمر رضى الله عنه : " تعلموا العربية فإنها من الدين " .

ولقد لَعِبَتْ اَللُّغَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ دَوْراً بَالِغ اَلأَثَرِ فِي تَحْدِيدِ وَتَوْضِيحِ مَفْهُومِ اَلْعُرُوبَةِ اَلَّتِي جَمَعَت بَيْنَ شُعُوبِ وَحَضَارَاتِ عِدَّةٍ نَهلَتْ مِنْ معين هَذِهِ اَللُّغَةِ وَأَكْسَبَتْهَا اَلْكَثِيْرَ منْ مُفْرَدَاتهَا ، فَغَدَتْ لُغَةَ اَلْعِلْمِ وَالأَدَبِ فِي نطاقات شَاسِعَةٍ مِنْ اَلْعَالَمِ قَدِيماً وَمَازَالَتْ حَاضِرَةً وَبِقُوَّةٍ فِي اَلْمَشْهَدِ اَلإِنْسَانِيِّ

وَالْحَضَارِيِّ اَلْعَالَمِيِّ .

وعن محاولات استهداف للغة العربية كحامل حضاري للقومية العربية نرى أن بعض القوى الغربية تحاول منذ زمن بعيد التأثير على المجتمعات العربية باستهداف اللغة الأم عبر إحلال لغات أخرى محلها إلا أن مخططاتها فشلت لأن لغة الضاد ليست لغة للنطق فحسب بل هوية حضارية وتاريخية متوارثة للأجيال العربية .

وأن المحاولات الغربية لاستهداف العربية سبقتها سياسة التتريك التي فرضها الأتراك طوال ٤٠٠ عام في الوطن العربي والتي لم تستطع التأثير على اللغة العربية ، بل حصل العكس فتأثرت اللغة التركية بالعربية عبر دخول مئات المفردات العربية إليها لأن لغتنا مرجعية في الحضارة العالمية إضافةً إلى كونها لغة القرآن الكريم ، فضلاً عن أنها لغة رسمية وهي متجذرة بوجدانيات شعوب بأكملها .

فنحن إلى الآن نحفظ الآلاف من قصائد الشعر الجاهلي والعباسي والأموي وكلمات لخطباء العرب ولغيرهم ، ناهيك عن وجود وثائق هائلة بالعربية توجد في العالم حيث تتباهى متاحف أوروبا بأنها تقتني هذه المخطوطات وبحروف من ذهب .

الأمر الذي يؤكد مجدداً أن العربية لغة حية ولن تموت . ولذا لا يمكن فصل اللغة عن المعرفة والثقافة .

تعزيز اللغة العربية للعروبة :

والعروبة تتجلى في صورتين متكاملتين : صورة العروبة الإسلامية وصورة العروبة القومية :

قد يظن البعض أن المسألتين المشار إليهما مختلفتان ، وكل منهما مستقلة عن الأخرى ، وهذا صحيح من جانب أو آخر ، لكن الارتباط الوثيق بينهما لا يتأتى من التعليم الديني حسب ظن البعض الذي يصدُّ المعرفة العلمية ، التي يتشاركها البشر كافةً ، فتتماهى المعرفة والهوية ، نعني المعرفة التي قوامها اللغة ، والهوية التي قوامها الدين أو العرق .

لا ريبَ أنَّ " اَلْعُرُوبَةَ " في مَفْهُومُهَا تقومُ عَلَى أُسُسٍ تَارِيخِيَّةٍ وَجُغْرَافِيَّةٍ وَقَوْمِيَّةٍ . . . إِضَافَةً إِلَى اَلأَسَاسِ اَللُّغَوِيِّ . ولقد واجهت لغتُنا

العربيةُ وما زالتْ تُواجهُ العديدَ من المحن التي تهددُ مَاهِيَّتَهَا وَقُوَّةَ اِرْتِبَاطِ أَبْنَائِهَا بِهَا ، وَهِيَ بِذَلِكَ لا تُوَاجِهُ تِلْكَ اَلْمَخَاطِرَ مُنْفَرِدَةً ، بَلْ إِنَّ ذَلِكَ يُهَدِّدُ مَفْهُومَ اَلْعُرُوبَةِ أَيْضاً وَيعمل على اَلنَّيْل مِنْهُ ، وَهَذَا إِنْ دَلَّ عَلَى شَيْئ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى اَلتَّرَابُطِ اَلْوَثِيق بَيْنَ اَلْمَفْهُومَيْنِ " اَلْعُرُوبَةِ وَاللُّغَةِ اَلْعَرَبِيَّة " إِلَى دَرَجَةِ اَلتَّوَحُّدِ ، وَمَا اِنْتِمَاءُ اَلإِنْسَانِ اَلْعَرَبِيِّ إِلَى عُرُوبَتِهِ إِلا اِنْتِمَاءٌ لِلُغَتِهِ ، وَالْعَكْسُ صَحِيح .

وَحَرِيٌّ بِنَا إِذَا مَا أَرَدْنَا اَلْخَوْضَ فِي فضاء اَلْعَلَاقَةِ بَيْنَ " اَلْعُرُوبَةِ وَاللُّغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ " أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَى مُقَارَبَاتِ ثَلاثٍ حَوْلَهُمَا الأولى وَهِيَ : أن اَلْعُرُوبَة لُغَة . . وَأن اللُّغَة هُوِيَّة ، وأن اَلْعُرُوبَة إِطَار وَفَضَاء جَامِع ، وَالتَّمَاهِي بَيْنَ اَلْعُرُوبَةِ وَاللُّغَةِ اَلْعَرَبِيَّةِ .

وَلا يَظُنَّنَّ ظَانٌّ أَنَّ اَلْمَقْصُودَ بِالْعَرَبِيَّةِ هُنَا اَللُّغَةُ اَلْعَرَبِيَّةَ فحسب ولكن ، اَلْمَقْصُودَ هُوَ " اَلْعُرُوبَةِ " ، وَهَذَا يَدُلُّ دَلالَةً لا تَقْبَلُ اَلتَّأْوِيلَ عَلَى أَنَّ اَلْعَرَبِيَّةَ هِيَ اَلْعُرُوبَةَ ، وَإِنَّهَا بِمَعْنَى اَلانْتِمَاءِ إِلَى لُغَةِ اَلْعَرَبِ ، غير أن هَذَا اَلانْتِمَاءَ إِلَيْهِمْ لا يكونُ عن طَرِيقِ اَلدَّمِ أَوْ اَلنَّسَبِ فحسب ، وَإِنَّمَا مِنْ طَرِيقِ اَللُّغَةِ وَاللِّسَانِ ، وَأَنَّ اَلْعَرَبِيَّ مَنْ كَانَ أَوْ صَارَ لِسَانُهُ عَرَبِيّاً بِصَرْفِ اَلنَّظَرِ عَنْ اَلْعِرْقِ .

ويذهب البعض الآخر في مقاربة ثانية – التي رأى العروبة فيها تشكل إطاراً وفضاء جامعاً – إلى ضرورة التفريق بين مفهوم العروبة ومفهوم القومية العربية حيث يقول : " العروبة مفهوم عمومي جامع في حين مفهوم القومية العربية مخصص ومحدد . إذ القومية معتقد سياسي فكري يتمحور حول الوحدة العربية أولاً . ونحن إذ نتحدث في هذا المقام عن مفهوم العروبة تعميماً لا القومية العربية تخصيصاً نريد أن تكون فكرة العروبة بما هي إطار لغوي وفضاء ثقافي بمنأى عن التجاذبات الحزبية السياسية . إن هذه العروبة قابلة لأن تملأ بالمحتوى الحضاري والمضمون الثقافي الذي نريد ما دام معبراً عنه باللغة العربية .

وَاَلَّذِي نَرَاهُ أَنَّ مُعْظَمَنَا يُرِيدُ لِعُرُوبَةِ اَلْيَوْمِ أَنْ تَكُونَ عُرُوبَةً أَصِيلَةً لا هَجِينَةً ، وَمُعَاصِرَةً لا تَارِيخِيَّةً ، وَشَعْبِيَّةً لا نُخْبَوِيَّةً ، وَدِيمُوقْرَاطِيَّةً لا تَسَلُّطِيَّةً ، وَمُسْتَقْبَلِيَّةً لا مجرد مَاضَوِيَّةٍ . إِذْن : لَيْسَتْ اَلْعُرُوبَةُ قَوْمِيَّةَ

مُتَعَصِّبَةَ ضَيِّقَةَ ، وَإِنَّمَا هِيَ قَوْمِيَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ ، وذلك أنَّ لُغَةَ هَذِهِ الأُمَّةِ تَحْمِلُ رِسَالَةً إِنْسَانِيَّةً .

ولقد ازدادت لغتُنا العربية اتساعاً فِي مَيَادِينِ الْمَعْرِفَةِ وَانْتِشَاراً فِي أَرْجَاءِ الْعَالَمِ ، حيث احْتَرَمَت الثَّقَافَاتُ الأُخْرَى تأثيراً وتأثراً ، وَسَرْعَانَ مَا صَارَتْ لُغَةُ الإِدَارَةِ وَالْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ لأَهْلِهَا وَلِلْعَالَمِ .

إذن كيف نجعل من لغتنا صورة معبرة عن عروبة اليوم كما كانت معبرة عن عروبة الأمس ؟

أقول : عندما واجه العرب توسع الدولة الإسلامية وانتشار العرب في بقاع الأرض لم يكن لهم بها عهد من أجناس ولغات وأديان وحضارات متعددة ، وكان ذلك حرياً أن يلتهم هذه اللغة التي خرجت من نطاق ضيق وإطار محصور في الجزيرة العربية ، ولكن اللغة العربية ازدادت اتساعاً في ميادين المعرفة وانتشاراً في أرجاء العالم ، فاحترمت الثقافات الأخرى واقتبست منها .

إن أهم أسباب صمود هذه اللغة بعد سلسلة غير منقطعة من المحاولات لإضعافها وهجران بعض أبناء هذه اللغة ، إلى جانب الأصالة والمناعة التي جعلتها قادرة على البقاء لتحدي كل وسائل النيل منها ، والتي يسرت للعربية أن تطوع الثقافات القديمة لها من فارسية وهندية ويونانية من غير أن تتخلى عن أصولها وقواعدها وسماتها ، فإن السبب في صمود اللغة العربية أيضاً يعود إلى القرآن الكريم الذي يعد سياجاً للعربية يحافظ عليها من الضياع ومن الاضمحلال والزوال .

وَأَقُولُ : إِنَّ الْعُرُوبَةَ لَيْسَتْ رِدَاءً نَرْتَدِيهُ سَاعَةً وَنَخْلَعُهُ سَاعَةً حَسَبَ مَا نُرِيدُ ، إِنَّهَا قَدَرُنَا وَدَمُنَا وَكِيَانُنَا ، وَهِيَ مَنْظُومَةٌ مِنْ الْقِيَمِ ، وَهِيَ الرَّابِطَةُ وَالانْتِمَاءُ وَالْهُوِيَّةُ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْهَا اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَإِنَّنَا فِي أَمَسِ الْحَاجَةِ فِي ظِلِّ هَذِهِ الْعَوْلَمَةِ الْمُتَوَحِّشَةِ إِلَى تَعْزِيزِ الانْتِمَاءِ إِلَى عُرُوبَتِنَا وَلُغَتِنَا .

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْعُرُوبَةِ وَالإِسْلامِ ، فَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ عَرَبِيّاً وَلَيْسَ كُلُّ عَرَبِيٍّ مُسْلِماً ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ مِسَاحَةَ التَّدَاخُلِ بَيْنَ الْعُرُوبَةِ وَالإِسْلامِ كَبِيرَةٌ لِلْمُشْتَرَكِ الثَّقَافِيِّ بَيْنَهُمَا مُنْذُ فَجْرِ الإِسْلامِ وَحَتَّى الْيَوْمَ ، فَهُنَاكَ أُمَمٌ قَبِلَتْ الدِّينَ وَالثَّقَافَةَ مَعاً ، فَأَصْبَحَتْ عَرَبِيَّةَ اللِّسَانِ مُسْلِمَةَ بالدِّيَانَة ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

(نَزَلَ به ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ . بلسَان عَرَبِيٍّ مُّبِين) [الشُّعَرَاءِ : ١٩٣ – ١٩٥] وَغَيْرِهَا مِنْ الآيَاتِ الَّتِي تُؤَكِّدُ عَلَى عَرَبِيَّةِ اللِّسَانِ وَعَرَبِيَّةِ القرآن وَمِنْ ثَمَّ عَرَبِيَّةِ الأَدَبِ ، وهنا اسكت قليلاً ، وَهُنَاكَ أمم أُخْرَى قَبِلَتْ الْجَانِبَ الرُّوحِيَّ مِنْ الدِّينِ الإِسْلامِيِّ وَلَكِنَّهَا بَقِيَتْ عَلَى ثَقَافَتِهَا التَّارِيخِيَّةِ وَرَأَتْ أَلا تجعل العربية لغة لها ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا لُغَةُ الْقُرْآنِ وَأَدَاةُ الإِسْلامِ الْحَنِيفِ لِلْوُصُولِ إِلَى قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ .

وأرى أَنَّ الاعْتِزَازَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يُكَوِّنُ بِثَلاثَةِ هموم : اِعْتِزَازٌ قَوْلِي وَاعْتِزَازٌ فِعْلِيٌّ وَاعْتِزَازٌ قَلْبِي . أَمَّا الْقَوْلِيُّ : فَبِالْكَلامِ عَنْ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَعْرِيفِ النَّاسِ بِمِميزَاتِهَا وَعَدَمِ الاسْتِخْفَافِ بِهَا .

وَالْفِعْلِيُّ بِتَطْبِيقِ اللُّغَةِ فِي وَاقِعِ الإِنْسَانِ ، وَتَجَنُّبُ الْحَدِيثِ بِالدَّخِيلِ وَالأَجْنَبِيِّ ، وَكِتَابَةُ الْكُتُبِ عَنْهَا ، وَنَشْرُ الْبُحُوثِ فِيهَا .

وَالْقَلْبِيُّ فيَكُونُ بِالشُّعُورِ بِالْفَخْرِ وَالاعْتِزَازِ عِنْدَمَا تَتَكَلَّمُ بِالْعَرَبِيَّةِ . وَانْ هَذَا الْوُجُودَ هُوَ لُغَةٌ وَثَقَافَةٌ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ سِيَاسَةً أَوْ أَيْدِيُولُوجْيَة سِيَاسِيَّة أَوْ شِعَارَاتٍ وَحْدَوِيَّة .

فمثلاً يقال : إن طه حُسَيْنْ كَانَ مِنْ مُعَارِضِي الْعُرُوبَةِ السِّيَاسِيَّةِ ، لَكِنَّ دِفَاعَهُ عَنْ اللُّغَةِ الْفُصْحَى وَتَمَسُّكَهُ بِهَا وَبِتُرَاثِهَا مِنْ الْعَوَامِلِ الَّتِي مَهَّدَتْ لِلْعُرُوبَةِ السِّيَاسِيَّةِ .

وَرَغْمُ أَنَّ الْمُفَكِّرَ الْمُتَمَيِّزَ زَكِي نَجِيبْ مَحْمُودْ وَعَمِيدِ الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ طه حُسَيْنْ وَجِيلَهُمَا قَدْ عَاصَرُوا الْعُرُوبَةَ السِّيَاسِيَّة إلا أَنَّهما فِي نِهَايَةِ مَسِيرَتِهِمْا الْفِكْرِيَّةِ رَأَى كُلٌّ مِنْهُمَا فِي خُلاصَةِ التَّجْرِبَةِ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ " الْعُرُوبَةَ ثَقَافَةٌ لا سِيَاسَةٌ " مُؤَكِّدِين : " أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ أُولَى خَصَائِصِ الْعُرُوبَةِ ، وَنَقْصِدُ بِذَلِكَ مَا هُوَ أَعْمَقُ مِنْ مُجَرَّدِ عَمَلِيَّةِ التَّفَاهُمِ بِلُغَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، وَهُوَ أَنَّ خَصَائِصَ اللُّغَةِ تَكُونُ هِيَ نَفْس خَصَائِصَ أَصْحَابِهَا . الَّتِي تُعِيدُ تَأْكِيدَ الثَّوَابِتِ الَّتِي بَدَأَتْ بِهَا الْعُرُوبَةُ " .

وَلَمْ تَعْجِزْ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ قَدِيماً عَنْ اِسْتِيعَابِ عُلُومِ الْيُونَانَ وَالْفُرْسِ وَالرُّومَانِ بِمَا تَحْوِيهُ مِنْ مَنْطِقٍ وَفَلْسَفَةٍ . وَكَانَتْ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةَ الْحَضَارَةِ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى وَإِحْدَى الرَّكَائِزِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا نَهْضَةُ أُورُبَّا نَفْسِهَا فِيمَا بَعْدُ .

وَإِذَا كَانَتْ اَللُّغَةُ اَلْعَرَبِيَّةُ قَدْ أَثَّرَتْ بِمُفْرَدَاتِهَا فِي اَللُّغَاتِ اَلأُورُبِّيَّةِ فَإِنَّ مَيْدَانَ اَلأَدَبِ أَوْسَعُ وَأَرْحَبُ . فَقَدْ كَانَ لِلشِّعْرِ اَلْعَرَبِيِّ سِحْرُهُ اَلْخَاصُّ فِي أُورُبَّا ، وَهَكَذَا شَأْنُ سَائِرِ اَلْفُنُونِ اَلأَدَبِيَّةِ اَلأُخْرَى كَالزَّجَلِ وَالْقِصَص وَالْمَقَامَاتِ وَغَيْرِهَا .

ولقد استثمر الأديب العربي وخاصةً المصري المعاصر السلاح الذي يمتلكه وهو الكلمة التي تتجلى فيها لغتنا العربية فأسهم بها إيماناً منه بأن مصيره رهن بمصير لغته ، وليست الكلمة هنا مجرد إشارة إلى انتماء الكلمة إلى عالم موسيقي أو وجداني تبدو في صورة فنية أدبية فحسب ، وإنما هي إشارة بصفة أساسية إلى مجموعة المبادئ التي تشكل العقيدة العامة للفرد والمجتمع على السواء ، المنبثقة عن اللغة العربية .

مما يؤكد إحساس الناس بهذا التحول الثقافي الكبير الذي أحدث نقلةً كبيرةً في حياتنا في منتصف القرن العشرين وأصبحت الثقافة العربية حظاً ساد المجتمع كما نشطت الحياة الفنية وبلغت قمةً متطاولةً في عالم المجتمع العربي عامةً والمصري بخاصة .

وعندما انبعثت فكرة القومية العربية من مرقدها في قلب القاهرة ، وكان لهذه الأحداث صداها الاجتماعى من حيث فكرة المساواة الحقة ومن حيث فكرة الحرية التي ردت للمصري الرغبة في اللحاق بركب الحضارة .

وانعكس هذا الصراع الفكري والثقافي على الناس بصورة واضحة ، وتلون المجتمع بألوان ثرية تستدعي الكشف عن مدى التأثير بلغتنا العربية في البيئة والعصر .

والخروج من الحدود القومية طلباً لكل ما هو جديد مفيد استجابة لضرورة التعاون الاقتصادي والاجتماعي والفكري والفني وطرح ما لدينا من قدرات لغوية وأدبية على العالم .

أدب يحمل سمات وخصائص لغتي اللغة الأم اللغة الأساس أصل اللغات اللغة الباقية إلى يوم القيامة اللغة العربية لغة القرآن ووعائه .

وَقد اِسْتَطَاعَتْ مُؤَلَّفَاتُنَا اَلأَدَبِيَّةُ اَلْوُصُولَ إِلَى اَلْعَالَمِيَّةِ وَفَرْضَ اَلأَدَب اَلْعَرَبِيِّ ذَاتِيَّتَه دُونَ اَلتَّخَلِّي عَنْ عُرُوبَتِهِ وَلا عَنْ عَرَبِيَّتِهِ .

وَفِي وُجُودِ إِسْلامٍ حَقِيقِي يَتَغَلْغَلُ فِي كِيَانِنَا . حَيْثُ إِن وُجُودَنَا فِي أَيّ مَكَانٍ إِعْلانٌ عَنْ خُصُوصِيَّةٍ دِينِيَّةٍ ذَاتِ مَبَادِئَ وَقِيَمٍ هِيَ أَسَاسُ اَلدِّينِ و

(الدِّينُ أَسَاسُ اَلْوُجُودِ) . والإيمَانُ بِعَقِيدَةِ هَـذِهِ اَلأُمَّـةِ ، وَالاعْتِـزَازُ بِالانْتِمَـاءِ إِلَيْهَـا ، وَاحْتِـرَامُ قِيَمِهـا اَلْحَـضَارِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّـةِ ، وَالاعْتِـزَازُ وَالتَّمَسُّكُ بِهَـا ، وَالشُّعُورُ بِالتَّمَيُّزِ وَالاسْتِقْلَالِيَّةِ اَلْفَرْدِيَّةِ وَالْجَمَاعِيَّـةِ ، وَهِـيَ غَيْـرُ قَاصِـرَةٍ عَلَى الانْتِمَاءِ اَلْعَرَبِيِّ وَلا تَتَعَارَضُ مَعَ اَلانْتِمَاءِ اَلْوَطَنِيِّ .

فَالْعَرَبِيَّـةُ وِعَـاءُ اَلـدِّينِ ، وَالإِسْـلامُ دِيـنُ اَلـشُّمُولِ يَتَـضَمَّنُ كُـلَّ اَلدِّيَانَاتِ وَكُلَّ اَلرِّسَالاتِ اَلسَّمَاوِيَّةِ .

وَالْعَرَبِيَّـةُ لُغَـةُ اَلـدِّينِ ، وَلُغَـةُ اَلْعَقِيـدَةِ وَهِـيَ لُغَـةُ اَلْكِتَـابِ اَلَّـذِي أَنْزَلَـه اَللَّهُ عَلَى رَسُولِ الإِنْسَانِيَّةِ لُغَةَ اَلْقُرْآنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) .

الخلاصة :

- دَوْرُنَـا تجَـاهَ اَللُّغَـةِ اَلْعَرَبِيَّـةِ : وَإِنَّنَـا جَمِيعـاً مَـسْؤُولُونَ أَمَـامَ اَللُّغَـةِ اَلْعَرَبِيَّةِ ، وَعَلَيْنَا يَقَعُ وَاجِبَ اَلْحِفَـاظِ عَلَيْهَـا مِـنْ اَلأَلْفَـاظِ اَلدَّخِيلَـةِ والمستعجمةِ ، كما يجبُ علينا أن نجدَّ في استخدامها وَرِعايَتِهَا قَدْرَ اَلْمُسْتَطَاعِ فِي حَيَاتِنَا اَلْيَوْمِيَّةِ وَفِي كِتَابَاتِنَا وَأَفْعَالِنَا وتعاملاتنا فَهِيَ أُم رؤوم وَنَحْنُ أَبْنَاؤُهَا ، فهل نحن فاعلون هذا بأمنا يا عرب ؟

- علينـا أن نَجْعَلَ مِـنْ لُغَتِنَـا صُورَةً مُعَبِّـرَةً عَـنْ عُرُوبَـةِ اَلْيَـوْمِ كَمَـا كَانَتْ مُعَبِّرَةً عَنْ عُرُوبَةِ اَلأَمْسِ كما نُرِيدُ لِعُرُوبَـةِ اَلْيَـوْمِ أَنْ تَكُـونَ عُرُوبَـةً أَصِيلَةً لا هَجِينَةً .

- وَلِلْحِفَاظ عَلَى اللغة العربية لابد من الحفاظ عل اَلْهُوِيَّةِ اَلْعَرَبِيَّةِ ولابُد مِنْ تَعْزِيزِ اَلاعْتِزَازِ بِالـذَّاتِ ، وَيَـأْتِي ذَلِـكَ عَـنْ طَرِيقِ تَنْمِيَـةِ اَلثِّقَـةِ لَـدَى أَفْرَادِ اَلْمُجْتَمَعِ اَلْمُسْلِمِ فِي أُمَّتِهِ وَحَضَارَتِهِ ؛ فَالأُمَّـةُ اَلَّتِـي لا تَثِـقُ بِقُـدُرَاتِهَا ، وَلا تُقَـدِّرُ إِمْكَانَاتِهـا اَلذَّاتِيَّـةِ حَـقَّ قَـدْرِهَا ؛ لا يُمْكِـنُ إِلا أَنْ تَكُـونَ عَلَـى اَلدَّوَامِ ظِلاً لِلآخَرِينَ ، تَابِعَةً لَهُمْ ، لا تَعْتَمِدُ إِلا مَـا يَقُولُـونَ وَمَـا يَفْعَلُونَ ، إِذْ إِنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُعْوِزُهَا اَلْهُوِيَّةُ اَلْمُتَمَيِّزَةُ لِتَتَمَكَّنَ مِنْ اَلْمَعِيشَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى وُجُودِهَا .

- تَعْمِيـقِ الإِحْسَاسِ بِقِيمَـةِ مُجْتَمَعِنَـا العربـي إِيمَانـاً بِلُغَتِنَـا اَلْعَرَبِيَّـة وَحَتَّـى تَتَجَلَّـى لَنَـا مُوَاكَبَـةُ اَلْعَالَمِيَّـةِ فِـي شَـتَّى نَوَاحِيهَـا اَلْفَنِّيَّـةِ وَالإِنْـسَانِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ .

وبعـد ، فهـذه رؤيـة متواضـعة توخيـت فيهـا البـساطة والوضـوح والإيجاز .

صيغ العدد في القرآن الكريم :
دراسة وصفية تحليلية

(الحلقة الأولى)

د . مناهل جبارة بخيت علي*

ولما كان القرآن الكريم المصدر الأول الذي يؤخذ منه صحيح اللغة العربية فضلت أن أتناول العدد بصوره المختلفة ، واستشهدت لهذه الصور بما جاء في آيات الذكر الحكيم بعد دراستها من حيث ذكر علماء النحو لها مفصلة ، وهدفت من كل ذلك لإبراز الصور من حيث أهميته وحاجة الناس إليه بذكر وروده حسب لفظ القرآن الكريم حتى لا يحرف في الكلام عامة ، وكان المنهج المتبع هو الوصف التحليلي .

وقد خرجت بنتائج مهمة ، أولها تعريف العدد لغةً واصطلاحاً وذكر أقسامه وطريقة استعمالاته ، وإن كان هناك من وصية ، فهي الاهتمام بدراسة العدد وتتبعه حتى لا يقع الناس في الخطأ حين تناوله . والله الموفق .

المقدمة :

صيغ العدد في القرآن الكريم :

هذا بحث أحاول فيه الوقوف على استعمالات العدد في القرآن بجميع الصور التي جاء بها في كتاب الله مفرداً أو مركباً أو معطوفاً أو من ألفاظ المائة والألف وما جاء منه حصرياً وما جاء نسبياً وما جاء منه على وزن فاعل .

ومما لا شك فيه أن الدور الذي يؤديه العدد في جميع حياتنا خاصةً الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها من مطلوبات الحياة التي لابد فيها من تناول ألفاظ اللغة المستعملة ، ومن بينها يأتي العدد .

ونظراً إلى أهميته أفرد له النحاة القدامى والمحدثون باباً في

* أستاذ مساعد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة جازان ، المملكة العربية السعودية .

مؤلفاتهم وعنوا بدراسة صوره المتغيرة في الاستعمال وأبرزوا تميزه ووصفوه وصفاً رقيقاً حتى لا يلتبس بتميز غيره وإن كانت هناك مشكلة فهي تناثر مفردة العدد في جميع الكتب القديمة والحديثة مما يصعب مهمة الباحث .

والهدف من الدراسة هو إبراز صيغ العدد في أوضح صورة يعلم بها المطلع مشفوعة بالشواهد المناسبة من القرآن الكريم مع وضوح المنهج الوصفي التحليلي الذي كتب به البحث ، وأدواته هي كتب النحو المستشهد لها من القرآن الكريم ، وطبيعي أن يقوم تقسيم العدد إلى عناوين جانبية . وقد قمت بتقسيمه إلى أربعة مباحث بجانب الملخص والمقدمة بالإضافة إلى الخاتمة والمراجع .

أما مباحث البحث فكانت كما يلي :

(١) المبحث الأول – العدد وتفصيلاته من حيث التعريف والأسماء والأقسام .

(٢) من حيث التذكير والتأنيث .

(٣) تميز العدد – إعرابه وبناؤه .

(٤) صياغة العدد على وزن فاعل مع تعريفه وتنكيره .

كل ذلك يفصل من كتب النحو القديمة والحديثة ، ويعدل على ذكر ، ويستشهد به في القرآن الكريم من الآيات التي وردت وذكر فيها العدد حسب الحاجة إليه .

في نهاية هذه المقدمة أذكر بعض الكتب التي تناولت العدد وهي :

(١) المقتضب للمبرد ، وشرح المفصل لابن يعيش ، وشرح التسهيل لابن مالك ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وغيرها ، وهي الأدوات التي تعين على البحث مع ذكر بعض شواهد شعر المساعدة على ذلك .

العدد في القرآن الكريم :

المبحث الأول :

العدد تعريفه وأسماؤه وأقسامه :

تعريف العدد :

قال الجوهري : (عددت الشيئ إذا أحصيته ، والاسم العدد والعديد يقال : هم عديد الحصى والثرى ، أي في الكثرة) [1] .

[1] الصحاح إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم

وقال ابن منظور : (والعدد مقدار ما يعد ومبلغه ، والجمع أعداد) [1] .

أسماء العدد :

قال ابن يعيش : (وأسماؤه اثنا عشر . . الواحد فما فوقه إلى التسعة والعشرة والمائة والألف) [2] .

أقسام العدد :

وأقسام العدد أربعة : مفرد ، ومركب ، وعقد ، ومعطوف [3] .

- فالعدد المفرد يشمل : الواحد ، والعشرة ، وما بينهما [4] .

وتدخل معه المائة والألف والمليون والمليار [5] . ونحو (مائة وألف) في قوله تعالى : (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ المُؤمنينَ عَلَى القتال إن يَكُن منكُم عشرونَ صابرونَ يَغلبوا مائتَين وَإن يَكُن منكُم مَائَةٌ يَغلبوا أَلفا مِنَ الَّذَينَ كَفَروا بِأَنَّهُمَ قَومٌ لا يَفقَهونَ) [الأنفال : ٦٥] .

- والعقد : من عشرين إلى تسعين ، نحو (سبعون) في قوله تعالى : (ثُمَّ في سلسلَة ذَرعُها سَبعونَ ذراعًا فَاسلُكوهُ) [الحاقة : ٣٢] .

المبحث الثاني :

تذكير العدد وتأنيثه :

وألفاظ العدد بالنسبة للتذكير والتأنيث تكون على النحو التالي :

(١) واحد واثنان : يوافقان المعدود تذكيراً وتأنيثاً ، سواء أكانا مفردين ، أم مركبين ، أم معطوفاً عليهما [6] .

ونحو (اثنين) في قوله تعالى : (حَتّى إذا جاءَ أَمرُنا وَفارَ التَّنّورُ قُلنَا احمل فيها من كُلٍّ زَوجَين اثنَين وَأَهلَكَ إلّا مَن سَبَقَ عَلَيه القَولُ وَمَن آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إلّا

للملايين ، الطبعة الرابعة يناير ، ١٩٩٠م ، مادة عدد .

[1] لسان العرب ، محمد ابن منظور ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، مادة عدد .

[2] شرح المفصل ، مواقف الدين يعيش بن علي ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي – القاهرة ، بدون تاريخ ، ج ٦ ، ١٦ .

[3] النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة بدون تاريخ ، ج ٤ : ٥١٨

[4] المرجع السابق ، ص ٥١٨ .

[5] الكامل في النحو والصرف والإعراب ، أحمد قبش ، دار الجيل بيروت ، لبنان ١٣٩٩هـ – ص ٢٨٣ .

[6] القواعد الأساسية للغة العربية ، السيد أحمد الهاشمي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

قَليلٌ) [هود : ٤٠] .

ونحو (اثنتا عشرة) في قوله تعالى : (وَقَطَّعناهُمُ اثنَتَي عَشرَةَ أَسباطًا أُمَمًا وَأَوحَينا إِلى موسى إِذ استَسقاهُ قَومُهُ أَن اضرب بِعَصاكَ الحَجَرَ فَانبَجَسَت منهُ اثنَتا عَشرَةَ عَينًا قَد عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشرَبَهُم وَظَلَّلنا عَلَيهِمُ الغَمامَ وَأَنزَلنا عَلَيهِمُ المَنَّ وَالسَّلوى كُلوا من طَيِّباتِ ما رَزَقناكُم وَما ظَلَمونا وَلكِن كانوا أَنفُسَهُم يَظلِمونَ) [الأعراف : ١٦٠] .

(٢) وأما ثلاثة وتسعة ، وما بينهما ، وكذلك بضع وبضعة ، فتخالف المعدود في جميع أحوالها ، فتكون على عكس المعدود في التذكير والتأنيث ، سواء أكانت مفردةً أم مركبةً أم معطوفاً عليها) [1] .

ويقول ابن يعيش : (والاعتبار في التذكير والتأنيث بالواحد ، فإذا أضيف إلى ما واحده مذكر الحق فيه الهاء نحو : ثمانية أيام ، لأن الواحد يوم وهو مذكر ، وإذا أضيف إلى واحدة مؤنث أسقط منه الهاء نحو : ثماني حجج ! لأن الواحد حجة وهو مؤنث ، وقيل : ولما أريد الفرق بين المذكر والمؤنث ، وكان المذكر أخف من المؤنث أسقطوا الهاء من المؤنث ليعتدلا) [2] .

وإليكم شواهد الأعداد المخالفة للمعدود من القرآن في جميع أحوالها :

مفردة: نحو (ثلاثة وسبعة) في قوله تعالى : (وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمرَةَ للَّه فَإِن أُحصِرتُم فَمَا استَيسَرَ منَ الهَدي وَلا تَحلقوا رُءوسَكُم حَتّى يَبلُغَ الهَديُ مَحلَّهُ فَمَن كَانَ منكُم مَريضًا أَو به أَذًى من رَأسه فَفديَةٌ من صيام أَو صَدَقَة أَو نُسُك فَإِذا أَمنتُم فَمَن تَمَتَّعَ بالعُمرَة إِلَى الحَجِّ فَمَا استَيسَرَ منَ الهَدي فَمَن لَم يَجد فَصيامُ ثَلاثَة أَيّام في الحَجِّ وَسَبعَة إِذا رَجَعتُم تلكَ عَشَرَةٌ كاملَةٌ ذلكَ لمَن لَم يَكُن أَهلُهُ حَاضري المَسجد الحَرام وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعلَموا أَنَّ اللَّهَ شَديدُ العقاب) [البقرة : ١٩٦] . ونحو (ثلاث) في قوله جل شأنه : (قالَ رَبِّ اجعَل لي آيَةً قالَ آيَتُكَ أَلّا تُكَلِّمَ النّاسَ ثَلاثَ لَيال سَوِيًّا) [مريم : ١٠] . ونحو (بضع) في قوله تعالى : (في بِضعِ سِنينَ لِلَّهِ الأَمرُ مِن قَبلُ وَمِن بَعدُ وَيَومَئذ يَفرَحُ المُؤمنونَ) [الروم : ٤] .

مركبة : يقول ابن يعيش : " تأنيث المركبات من العدد يجري على منهاج المفرد ، فيثبت الهاء في الثلاثة والأربعة ، إذا كان مركباً مع العشرة في المذكر فتقول : ثلاثة عشر رجلاً ، وأربعة عشر غلاماً تثبت

---

[1] ينظر : القواعد الأساسية للغة العربية ، ص ٢٤٤ ، والنحو الوافي ، ج ٤ : ٥٣٧ .

[2] شرح المفصل ، ج ٦ : ١٩ .

الهاء في النيف [1] . كما تثبتها إذا لم يكن نيفاً ، وتنزعها من العشرة كراهية أن يجمعوا بين تأنيثين من جنس واحد في كلمة واحدة ، فإذا أردت المؤنث نزعتها من الاسم الأول وأثبتها في آخر الاسم الثاني ، فكان نزعها من الاسم الأول دليلاً على الفصل بين المذكر والمؤنث " [2] .

ويقول المبرد : " فإن قال قائل : فما بالك قلت : إحدى عشرة و (إحدى) مؤنثة و (عشرة) فيها هاء التأنيث ؟ وكذلك اثنتا عشرة ، فالجواب في ذلك أن تأنيث إحدى بالألف ، وليس بالتأنيث الذي على جهة التذكير ، نحو : قائم وقائمة ، وجميل وجميلة/ فهما اسمان كانا بائنين ، فوصلا ، ولكل واحد منهما لفظ من التأنيث سوى لفظ الآخر ، ولو كان على لفظه لم يجز ، فأما اثنان واثنتان ! فإنما أنث على اثنين ، ولكنه تأنيث لا يفرد له واحد ، فالتاء فيه ثابتة ، وإن كان أصلها أن تكون مما وقف عليه بالهاء " [3] .

معطوف عليها : ونحو (تسع وتسعون) في قوله تعالى : (إِنَّ هذا أَخي لَهُ تِسعٌ وَتِسعونَ نَعجَةً وَلِيَ نَعجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكفِلنيها وَعَزَّني في الخِطابِ) [ص : ٢٣] .

(٣) ما له حالتان : وهو (العشرة) ، فإن استعملت مركبة جرت على القياس [4] . أي أنها توافق المعدود في التذكير والتأنيث ، نحو (اثني عشر) في قوله تعالى : (وَلَقَد أَخَذَ اللَّهُ ميثاقَ بَني إِسرائيلَ وَبَعَثنا منهُمُ اثنَي عَشَرَ نَقيبًا وَقالَ اللَّهُ إِنّي مَعَكُم لَئِن أَقَمتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيتُمُ الزَّكاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلي وَعَزَّرتُموهُم وَأَقرَضتُمُ اللَّهَ قَرضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُم سَيِّئاتِكُم وَلَأُدخِلَنَّكُم جَنّاتٍ تَجري من تَحتِهَا الأَنهارُ فَمَن كَفَرَ بَعدَ ذلكَ منكُم فَقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ) [المائدة : ١٢] [5] في الآية الكريمة وافقت (العشرة) المعدود (نقيبا) في التذكير .

وإن استعملت العشرة مفردة (غير مركبة) فإنها تخالف المعدود في

---

[1] النيف : الزائد على العدد من واحد إلى ثلاثة ، يقال : عشرة ونيف ، وألف ونيف ، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، مادة نوف .

[2] شرح المفصل ، ج ٦ : ٢٦ .

[3] المقتضب محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب، بدون تاريخ ، ج ٢ : ١٦٣ .

[4] شرح قطر الندى وبل الصدى ، عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م ، ص ٢٩١ .

[5] سورة المائدة ، الآية ١٢ .

التذكير والتأنيث ، فجاءت مؤنثة لأن المعدود مذكر في (عشرة مساكين) من قوله تعالى : (لا يُؤاخذُكُمُ اللَّهُ باللَّغوِ في أَيمانكُم وَلكن يُؤاخذُكُم بما عَقَّدتُمُ الأَيمانَ فَكَفّارَتُهُ إطعامُ عَشَرَة مَساكينَ من أَوسَطِ ما تُطعَمونَ أَهليكُم أَو كَسوَتُهُم أَو تَحريرُ رَقَبَة فَمَن لَم يَجد فَصيامُ ثَلاثَة أَيّام ذلكَ كَفّارَةُ أَيمانكُم إذا حَلَفتُم وَاحفَظوا أَيمانَكُم كَذلكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم آياته لَعَلَّكُم تَشكُرونَ) [المائدة : ٨٩] .

علمنا مما سبق أن الثلاثة والتسعة وما بينهما ، وبضع وبضعة ، والعشرة المفردة تخالف المعدود في التذكير ، فتثبت الهاء مع المذكر وتحذف مع المؤنث (وإنما تثبت الهاء أولاً في المذكر ، لأن الثلاثة جمع ، فلما قلت : ثلاثة رجال احتجت إلى علامة التأنيث ، فأدخلت الهاء ، أولاً في المذكر ، وابتدأت به ، لأنه هو الأصل ، فإذا جئت إلى المؤنث لم تبق علامة التأنيث ، فلم يدخل عليه العلامة ، وجعلت ترك العلامة ، علامة للتأنيث) [1]

ويشترط لتحقق مخالفة المعدود شرطان [2] :

(١) أن يكون المعدود مذكراً في الكلام .

(٢) وأن يكون متأخراً عن لفظ العدد .

وذلك في قوله تعالى : (سَخَّرَها عَلَيهم سَبعَ لَيال وَثَمانيَةَ أَيّام حُسومًا فَتَرَى القَومَ فيها صَرعى كَأَنَّهُم أَعجازُ نَخل خاويَة) [الحاقة : ٧] . حيث ذكر المعدود (ليال وأيام) وتأخر المعدود عن لفظ العدد (سبع ، وثمانية) .

فإن لم يتحقق الشرطان معاً ، بأن كان المعدود متقدماً ، أو كان غير مذكور في الكلام ، ولكنه ملحوظ في المعنى يتجه الغرض إليه ، جاز في لفظ العدد التذكير والتأنيث نحو : كُتبت صحفا (ثلاثاً أو ثلاثة) [3] .

بتقدم المعدود (صحفا) على العدد (ثلاثا أو ثلاثة) مما جوز في لفظ العدد التذكير والتأنيث ، ونحو قولك : صافحتُ أربعاً أو أربعة بتقدير أربعا من النساء أو أربعة من الرجال ، لأن المعدود (النساء أو الرجال) غير مذكور في الكلام ، ولكنه ملحوظ في المعنى ، مما جوز التذكير والتأنيث .

(٤) وألفاظ العقود من (عشرين إلى تسعين) لا يتغير لفظها في

---

[1] ينظر : شرح قطر الندي وبل الصدى ، ص ٢٩١ ، والقواعد الأساسية للغة العربية ، ص ٢٤٤ .

[2] صحيح البخاري ، باب المعراج ، ج ٢ : ٣٢٨ .

[3] النحو الوافي ، ج ٤ : ٥٣٧ – ٥٣٨ .

التذكير والتأنيث ، وذلك قول ابن يعيش : " اعلم أن العشرين وبابه من نحو ثلاثين أو أربعين إلى التسعين ، مما هو بلفظ الجمع يستوى فيه المذكر والمؤنث "[1] .

ونحو قوله تعالى : (وَاختارَ موسى قَومَهُ سَبعينَ رَجُلًا لميقاتنا فَلَمّا أَخَذَتهُمُ الرَّجفَةُ قالَ رَبِّ لَو شئتَ أَهلَكتَهُم من قَبلُ وَإِيّايَ أَتُهلكُنا بما فَعَلَ السُّفَهاءُ منّا إن هيَ إلّا فتنَتُكَ تُضلُّ بها مَن تَشاءُ وَتَهدي مَن تَشاءُ أَنتَ وَلِيُّنا فَاغفِر لَنا وَارحَمنا وَأَنتَ خَيرُ الغافِرينَ) [الأعراف : ١٥٥] .

(٥) ومائة وألف ، لا يتغير لفظها في التذكير والتأنيث ، نحو (مائة حبة) في قوله تعالى : (مَثَلُ الَّذينَ يُنفقونَ أَموالَهُم في سَبيلِ اللَّه كَمَثَلِ حَبَّة أَنبَتَت سَبعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنبُلَة مائَةُ حَبَّة وَاللَّهُ يُضاعفُ لمَن يَشاءُ وَاللَّهُ واسعٌ عَليمٌ) [البقرة : ٢٦١] . ونحو (ألف شهر) في قوله تعالى : (لَيلَةُ القدرِ خَيرٌ من أَلف شَهر) [القدر : ٣] . ونحو (ألف سنة) في قوله تعالى : (يُدَبِّرُ الأَمرَ منَ السَّماءِ إِلَى الأَرضِ ثُمَّ يَعرُجُ إِلَيهِ في يَومٍ كانَ مِقدارُهُ أَلفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ) [السجدة : ٥] .

(٦) الوصف المصوغ من اسم العدد على وزن (فاعل) يطابق الموصوف[2] ، فيقال : ثان وثالث ورابع إلى عاشر ، بلا تاء في التذكير ، وبتاء في التأنيث)[3] . ونحو الثالثة في قوله تعالى : (وَمَناةَ الثّالثَةَ الأُخرى) [النجم : ٢٠] .

قضايا في تذكير العدد وتأنيثه :

(١) المعتبر تذكير الواحد وتأنيثه ، لا تذكير الجمع وتأنيثه ، فيقال : ثلاثة حمامات وثلاثة سجلات ، وعشرة دنانير بثبوت التاء ، لأن مفردها مذكر[4] .

---

[1] شرح المفصل ، ج ٦ : ٢٧ .

[2] القواعد الأساسية للغة العربية ، ص ٢٤٤ .

[3] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين بن عقيل ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة ، الطبعة العشرون ، ١٤٠٠هـ ، ج ٤ ، ٧٦

[4] ينظر : شرح التسهيل ، جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ، تحقيق عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيد منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م ، ج ٢ : ٣١١ ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، أو العرفان محمد بن علي الصبان ، دار إحياء

(٢) إنما العبرة في التأنيث والتذكير بحال المفرد مع الجمع ، أما مع أسمى الجنس والجمع فالعبرة بحالهما فيعطي العدد عكس ما يستحقه ضميرهما ، لتقول : ثلاثة من القوم ، وأربعة من الغنم – بالتاء – لأنك تقول (قوم كثيرون ، وغنم كثير بالتذكير ، وثلاثة من البط بترك التاء لأنك تقول : بط كثيرة بالتأنيث) [١] .

ويقول ابن مالك : " فإن كان مفسر الثلاثة وأخواتها اسم جنس أو جمع مؤنث جئ بالمفسر مقروناً بمن وحذفت التاء إن ولي المفسر موصوفاً نحو : لي ثلاث من البط ذكور ، أو غير موصوف كله ثلاث من الإبل ، فإن توسط دليل تذكير لزم بقاء التاء نحو : لي ثلاثة ذكور من البط وأربعة فحول من الإبل " [٢] .

(٣) لا يعتبر تأنيث المفرد إذا كان علماً لمذكر نحو : طلحة وسلمة ، لأنه تأنيث لا تعل له بالمعنى حقيقةً ولا مجازاً ، ولذلك لا يؤنث ضميره ولا ما يشار به إليه ، بخلاف ما يتعلق تأنيثه بالمعنى حقيقةً أو مجازاً ، فإن ضميره وما يشار به إليه لازم ، فيقال في الأول : ثلاثة الطلحات لقيهم ثلاثة السلمات ، فثبت التاء ، لأن تأنيثه لمجرد اللفظ ، ولذلك لا يؤنث ضميره ولا ما يشار به إليه كقولك : الطلحات ذهبوا والسلمات أتوا ، ويقال في الثاني ، وهو الذي يتعين تأنيثه بالمعنى حقيقةً أو مجازاً ، ثلاث الفتيات رقين عشر الدرجات [٣] .

(٤) وقد يكون في المعدود لغتان ، فيجوز في عدده وجهان كحال وعضد ولسان ، فإنها تذكر وتؤنث فيقال على لغة من ذكر ثلاثة أحوال أعضاد وثلاثة ألسنة ، ويقال على لغة من يؤنث : ثلاث أحوال ، وثلاث أعضاد ، وثلاث ألسن ، ويكثر الوجهان في أسماء الأجناس المميز واحدها بالتاء كبقر ونخل وسحاب ، فيقال على لغة من ذكر : لزيد ثلاثة من البقر وثلاثة من النخل ، وسقيت أرضنا بثلاثة من الصحاب ، ويقال على لغة من أنث ثلاث [٤] .

الكتب العربية ، بدون تاريخ ، ج ٤ : ٦١ .

[١] حاشية الصبان على شرح الأشموني ، ج ٤ : ٦٣ – ٦٤ .

[٢] شرح التسهيل ، ج ٢ : ٣١١ .

[٣] المرجع السابق ، ج ٢ : ٣١١ .

[٤] شرح التسهيل ، ج ٢ : ٣١٣ .

(٥) وقد يزول مذكر بمؤنث فتسقط التاء ، ومؤنث بمذكر فتثبت التاء ، فالأول كقول الشاعر [١] :

وإن كلابا هذه عشرة أبطن وأنت بريئ من قبائلها العشر

ومثله قول الآخر [٢] :

فكان مجنى دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كأعبان ومغصر

ومثال الثاني قول الشاعر [٣] :

ثلاثة أناس وثلاث ذود [٤] لقد جاز الزمان على عيالي

ومثله قول الآخر [٥] :

وقائع في مصر تسعة وفي وائل كانت العاشرة

أول الأبطن بالقبائل ، والشخوص بالجواري ، فأسقط تائه عشرة وثلاثة وأول الأنفس بأشخاص والوقائع بمشاهد فأثبت التاء [٦] .

(٦) فإن كان المذكر بعد العدد صفة قامت مقام موصوفها اعتبر في الغالب حال موصوفها لا حالها ، فتقول ثلاثة ربعات [٧] . بثبوت التاء إذا أردت رجالاً ، وثلاث ربعات بسقوطها إذا أردت نساء ومن اعتبار حال الموصوف قوله تعالى : (مَن جاءَ بالحَسَنَة فَلَهُ عَشرُ أَمثالها وَمَن جاءَ بالسَّيِّئَة فَلا يُجزى إلّا مثلَها وَهُم لا يُظلَمونَ) [الأنعام : ١٦٠] . أي فله عشر حسنات أمثالها ، فلولا قصد الحسنات ، لقيل : عشرة أمثالها لأن واحد الأمثال مذكر [٨] .

(للبحث صلة)

---

[١] البيت للنواح الكلابي ، شرح التسهيل ، ج ٢ : ٣١٢ ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني ، ج ٤ : ٦٣ .

[٢] البيت لعمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ، بيروت ١٩٦٦م ، ص ١٠٠ ، وشرح التسهيل ، ج ٢ : ٣١٢ .

[٣] ديوان الحطيئة ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان (بدون تاريخ) ص ١١٩ ، وشرح التسهيل ج ٢ : ٣١٣ . ورواية الديوان نحن ثلاثة وثلاث ذود .

[٤] الذود : القطيع من الإبل ، بين الثلاثين إلى العشرة " مؤنث " يقال : خمس ذود ، أي خمس من الذود ، المعجم الوسيط ، مادة ذود .

[٥] البيت بلا نسبة شرح التسهيل ، ج ٢ : ٣١٣ .

[٦] شرح التسهيل ، ج ٢ : ٣١٣ .

[٧] الربعة : الوسيط القامة للمذكر والمؤنث ، المعجم الوسيط مادة ربع .

[٨] شرح التسهيل ، ج ٢ : ٣١٣ .

الإلحاد وأسباب انتشاره

الأستاذ حسّان أبو المكرم*

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمدّ وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .

فقد قال الله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّه عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِه وَقَلْبِه وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِه غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيه من بَعْدِ اللَّه أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) [1] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ثلاثٌ مُهلِكاتٌ ، وثلاثٌ مُنْجِياتٌ ، فقال : ثلاثٌ مُهلِكاتٌ : شُحٌّ مُطاعٌ ، وهوًى مُتَّبَعٌ ، وإعجابُ المرءِ بنفسِه . وثلاثٌ مُنجِياتٌ : خشيةُ اللهِ في السرِ والعلانيةِ ، والقصدُ في الفقرِ والغِنى ، والعدلُ في الغضبِ والرضا " [2] .

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، وهذا هو الواقع ، فقد وجدت فرق كثيرة ضالة في هذا الكون ، منها كانت قريبة للإسلام ، ومنها من زلت بعيداً عن الإسلام وأصوله ومعتقداته ، ومنها ما كانت مذاهب فكرية تعتمد على النظريات والتجربة والعقل وغير ذلك .

ومن هذه المذاهب الفكرية المعاصرة مذهب (الإلحاد) والتي ترجع أصولها إلى العقل والنظريات ، وقد انتشرت بكثرة في أنحاء العالم وما زال انتشارها يزداد يوماً فيوماً لأسباب عديدة سنحاول أن نذكر بعضاً منها على سبيل المثال مع مراعاة الاختصار .

ليس هذا فحسب ، بل هناك مراكز خاصة لنشر الفكر الإلحادي وتوعية المجتمع لها ، ويحاولون أن يدسوا السم في العسل ، وقد دخلت هذه النزعة في كثير من شبابنا واغتروا بهذا الفكر المدمر ، فنسأل الله السلامة لنا ولهم ولجميع المسلمين .

---

* الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

[1] سورة الجاثية : ٢٣ – ٢٤ .

[2] حسنه الألباني في السلسلة ، ١٨٠٢ .

هذه حقيقة مؤلمة عندما نرى أن شبابنا بدؤوا يخوضون ويجادلون في موضوع الإلحاد دون علم أو خلفية ، فنرى أنهم يقتنعون بتلك الأساليب والأفكار التي يطرحونها ، إما عن علم غير مقتنع أو اغتراراً بكلامهم أو حباً وإعجاباً لشخصياتهم وتماشياً مع العصر الراهن ، بل الأغرب من هذا أن هناك بعض الشخصيات دخلت في فكرة الإلحاد تدريجياً دون أدنى شعور بذلك ، ولم يستطيعوا أن يخرجوا منها ، بل تعصبوا لها وأيدوا لها بكل قوة ووافقوا معهم ، والله المستعان .

تعريف الإلحاد لغةً واصطلاحاً :

الإلحاد لغةً : الميل والانحراف .

شرعاً : الميل عما يجب اعتقاده أو عمله [1] .

المراد بالإلحاد هو : " مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى :

- فيدعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق
- أن المادة أزلية أبدية ، وهي الخالق والمخلوق في الوقت نفسه .

ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة " [2] .

و " قد أصبح الإلحاد هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوربية والأمريكية ، ويعبر عن ذلك بالعلمانية تارةً ، واللادينية تارةً أخرى ، وكل ذلك يعني الإلحاد والكفر بالله .

وفي الشرق تقوم أكبر دولة على الإلحاد وهي الدولة الروسية ، التي تحمل العقيدة الشيوعية التي من بنودها رفض الغيب كله ، والقول بأن الحياة مادة فقط ، وأن صراع الإنسان في هذه الحياة إنما هو من أجل العيش والبقاء فقط " [3] .

سبب نشأة فكرة الإلحاد :

الحقيقة أن لسبب نشأة فكرة الإلحاد تاريخاً كبيراً ، يحتاج إلى

---

[1] انظر مذكرة لمقرر ٣٢٨ سلم ص ١١ ، لكلية التربية بجامعة الملك سعود ، الرياض

[2] الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة ، ج ٢ ، ص ٨٠٣ .

[3] الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ، ٦ – ٧ .

ذكر التفاصيل الدقيقة حول هذا الموضوع ، ولكن باختصار يمكن أن نقول : من أهم الأسباب لظهور فكرة الإلحاد الرد على سلوكيات رجال الكنيسة ، والسيطرة عليهم والتجنب من طغيانهم وظلمهم ، ومما لا ريب فيه أن " هذه فكرة شيطانية باطلة لا يقبلها عقل ولا منطق غذاها اليهود لتحطيم حضارات وأديان العالم كله ، لإقامة حكمهم في الأرض كلها كما دونوه في كتبهم [1] .

" لذا فلم يكن الإلحاد ظاهرةً جماعيةً على امتداد التاريخ الإنساني، وإنما كانت نزعات شاذة من قبل اليهود حتى تقتضي به على جميع الأديان ليسهل عليهم بعد ذلك إقامة دولة اليهود الكبرى التي يحلمون بها " [2] .

يقول الدكتور أبو زيد مكي في كتابه " دلائل الربوبية " : " إن أبرز أسباب ظهور الإلحاد في أوروبا خمسة :

(١) الديانة النصرانية المنفردة في عقيدتها وشريعتها ، لأنها عقيدة غير مقبولة عقلاً وفطرةً ، كالقول بألوهية المسيح وعقيدة التثليث ، ولأنها تشتمل على شريعة مليئة بالأسرار والرموز غير المقنعة ولا محققة لصلاح الدنيا والدين كسر التعميد وسر الاعتراف ، ليس هذا فحسب بل فيها عبادة الصور والتماثيل وفيها نظام الرهبانية والعزوبة والتجرد والتعذيب الجنوني وتحريم الطيبات وغير ذلك .

(٢) طغيان رجال الكنيسة المبغض في رجال الدين في مجالات شتى كالتعبدية والعلمية وفرض الوساطة بينهم وبين الله تعالى ، وكذلك فرض العشور والسخرة والخضوع المذل .

(٣) حدوث الصراع بين الدين الكنسي والكشوف العلمية ، وذلك لأمرين :

- أن خرافات الكنيسة هي وحي من الله ، فإذا بطل الوحي بطل الإيمان بالله .

- التفسير الديني عموماً لظواهر الطبيعة قائم على التدخل المباشر من الله لها ، فإذا عرفوا القانون قالوا بأن الطبيعة تحكم نفسها بنفسها .

---

[1] المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ، ١٠٠٣ .
[2] المرجع السابق بتصرف يسير ، ١٠٠٥ .

(٤) دور اليهود في نشر الإلحاد ، لأن العداوة بين اليهود والنصارى مزمنة ، وكانت الكنيسة أيام سيطرتها تضطهد اليهود بسبب فسادهم وإفسادهم .

(٥) غياب الأمة الإسلامية عن بيان الدين الإسلامي [١] .

وكذلك من الأسباب أيضاً " المناداة بإطلاق الحريات للناس : الحريات الشخصية وحرية الكلمة وحرية التصوف وحرية التدين وحرية الاقتصاد وحرية الفكر وغير ذلك " [٢] .

مراحل نشأة الإلحاد :

يرى بعض الباحثين أن هناك سبع مراحل لنشأة الإلحاد :

(١) مرحلة طغيان الكنيسة العلمي وانتصارها على الكشوفات العلمية ، ولذا قاموا بتحريف حقائق الوحي الإلهي وخطلها بنظريات البشر ، وقاموا بإدخال تلك النظريات ضمن العقيدة النصرانية .

(٢) مرحلة تقسيم مجالات المعرفة بين رجال الكنيسة وأصحاب الكشوف العلمية ، وتوصف هذه المرحلة بتقديس العقل واستقلاله بالمعرفة مع بقاء الوحي في مجاله .

(٣) مرحلة انتصار أصحاب الكشوف العلمية على رجال الكنيسة ، فكان أبرز ما في هذه المرحلة : جعل العلم ميزاناً للكتب المقدسة لديهم .

(٤) مرحلة الإلحاد الربوبي : وخلاصة قولهم : يوجد رب لكن انتهت علاقته بالكون .

(٥) مرحلة تأليه الإنسان : وهذه المرحلة هي مرحلة : الإنسان هو الإله وهو المعبود .

(٦) مرحلة الديانة الإنسانية : هذه المرحلة هي مرحلة : لابد من دين ، فوضعوا الديانة الإنسانية .

(٧) مرحلة الإلحاد الجديد : وهي أفكار طرحتها مجموعة من الكتّاب الملاحدة ، وعرفت هذه المجموعة بمهاجمتها الدين والإله

---

[١] انظر دلائل الربوبية ، ١٥٠ – ١٥٩ ، للدكتور أبو زيد بن محمد مكي .

[٢] المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ، ١٠٠٥ .

والمناهج الدينية ونبذ الدين عموماً والإسلام خصوصاً [1] .

أسباب انتشار الإلحاد :

هناك أسباب كثيرة لنشر الإلحاد يصعب حصرها في هذه العجالة ، لكن نحاول أن نذكر بعضاً منها على شكل نقاط :

- الكنيسة الأوروبية
- مظالم العالم الرأسمالي
- ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية
- اقتران الإلحادية بالقوة المادية
- هزيمة العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوروبية
- الحياة الجديدة ومباهج الحضارة والتلذذ بالحياة
- دوامة الحياة [2]
- المخترعات التي قامت على أساسه
- توسيع دائرة معارف الناس بالكون
- الاعتماد على العقل
- التقابل بين العلم الطبيعي والدين [3]
- إبعاد المسلمين عن دين الإسلام
- حب الشهوات
- النظريات العلمية [4]
- هيمنة الغرب
- التناقض الشديد بين الذي ورثوه والعلم التجريبي
- الخوض في مسائل الغيبيات
- التعصب للنظريات العلمية
- التناقض في فكرة الألوهية
- القواعد الفكرية التي أصلّت واحترمت

---

[1] انظر دلائل الربوبية ، ١٦٠ – ١٦٩ ، للدكتور أبو زيد بن محمد مكي .

[2] مقتبس بتصرف من كتاب الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ، ٨ – ١٧ .

[3] الفيزياء ووجود الخالق ، للدكتور جعفر شيخ إدريس .

[4] دلائل الربوبية ، ١٦٨ – ١٧٩ .

- كثرة الحروب والمآسي التي حدثت في التاريخ
- اتباع طرق خداعة ووسائل مغرية
- التناقض بين الإيمان وحقائق العلم الطبيعي
- التناقض بين فكرة الخلق وفكر الأسباب
- نشر ودراسة هذه النظريات الإلحادية [1] وغير ذلك من الأسباب ...

خلاصة البحث :

الإلحاد بجميع أقسامه ومراحله خطر على المسلمين ، وبدأ ينتشر بسرعة فائقة لا يمكن تصورها ، بأساليب متنوعة ومجالات مختلفة حتى يتمسك بها الفرد ويتعصب لها دون شعور ، ثم إذا استقرت أصوله ومعتقداته ورسخت أفكاره تعصب لها ودافع عنها ونشرها ، وهو يشعر بأنه في قمة الحرية وقمة السعادة ، وكأنه أخذ حظاً وافراً من دنياه .

ولذا نجد أنهم قد ركزوا على أهم الوسائل التي تكون عوناً لهم في نشر دعوتهم ، كالكتب الإلحادية والروايات ، ومواقع التواصل الاجتماعي ، والمقالات المزخرفة بالأقوال ، والإعلام الجديد والمواقع الإلكترونية ، وكذلك اللقاءات المباشرة والجلسات الحوارية الخاصة ، والأفلام والمسلسلات أيضاً وغير ذلك من الوسائل المستجدة .

فالكتب الإلحادية والروايات وخصوصاً الروايات المغربة والماجنة تثقف الشك وتهدم العقيدة وتثير الغرائز ، وكذلك القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت والإعلام الجديد والأفلام وغير ذلك كلها تعرض مفاهيم الإلحاد بكل وضوح ، وتمجد دعاتها وتنشر الرذائل وتعدم الفضائل ، فنرى الانحطاط الأخلاقي في المجتمع والتفتح والسخرية بالدين وعلماء الدين واستحقارهم واستخفافهم واتهامهم بالرجعية والتدخل على حريات الناس .

لذا ينبغي أن يكون طالب العلم على حذر تام منهم قبل أن يصاب بالقلق والاضطراب والصراع النفسي والأنانية ، ويفقد السعادة الروحية والروحانية ، ويدعو إلى توحيد الله سبحانه مع طلب العون والتوفيق والسداد منه سبحانه ، ويعتني بالتربية الخلقية ويتصدى لشبهاتهم ويرد

[1] انظر المذكرة لمقرر ٣٢٨ سلم ، لكلية التربية بجامعة الملك سعود ، الرياض .

عليهم ويبين محاسن الإسلام وفضائلها وينشرها للناس .

والله ولي التوفيق .

ولا أنسى أن أذكر من أهم المواقع الإلكترونية التي تهتم بجانب الرد على الإلحاد والملاحدة مناقشتهم ، موقع " مركز دلائل " ، وكذلك " تكوين للدراسات والأبحاث " و " يقين " وغير ذلك .

وختاماً ... أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما قدمنا وكتبنا في هذا البحث المختصر ، نسأل الله السلامة من الفتن ونطلب منه التوفيق والعون والسداد .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المراجع والمصادر:

١. القرآن الكريم
٢. دلائل الربوبية ، د . أبو زيد بن محمد مكي ، ط ٢ ، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م ، مركز تكوين للدراسات والأبحاث .
٣. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ، د . غالب بن علي عواجي ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، المكتبة العصرية الذهبية .
٤. الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها ، عبد الرحمن عبد الخالق ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ ، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الرياض .
٥. الفيزياء ووجود الخالق ، أ . د . جعفر شيخ إدريس ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .
٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ط ٤ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع .
٧. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، د . غالب بن علي عواجي ، كتاب إلكتروني .
٨. موسوعة الفرق ضمن موقع الدرر السنية .
٩. مذكرة لمقرر ٣٢٨ سلم " العقيدة الإسلامية والمذاهب الفكرية المعاصرة " ، بجامعة الملك سعود بالرياض .

صلتي بالأستاذ المعصومي
وثناء العلماء والأعلام عليه

أعدّه : د . أبو سحبان روح القدس الندوي*

قد تعرّفت على الأستاذ أبي محفوظ الكريم المعصومي في حفلة عقد قراني مع كريمة صديقه الحميم الشيخ محبوب الرحمن الأزهري في ٢٢/ أبريل ١٩٨١م بلكناؤ ، وإنه جاء إليها لأول مرة ملبياً دعوة ندوة العلماء ليشارك في الندوة العالمية للأدب الإسلامي ، ويقدِّم فيها بحثه القيم عن " كعب بن زهير : نسبه وشعره " [١] .

استمرت صلتي به وازدادت يوماً فيوماً ، إذ اختير عضواً في المجلس الاستشاري لندوة العلماء ، فكان يحضر دوراته السنوية بالتزام ورغبة ، وكنت أنتظر مجيئه ببالغ الشوق كي أتمتع بمجالسه العلمية الممتعة ، ودُعي مرتين في جامعة ندوة العلماء لإلقاء محاضرات وتقديم بحوث ، فرحلته إلى لكناؤ تلو رحلة أتاحت لي فرصاً ثمينة للاستفادة منه ، ثم زوّدني إشرافه المشرِّف على تأليف كتابي " روائع الأعلاق " بفوائد جمة ، وازدان الكتاب قيمة وقدراً وبهاءً ورونقاً ، ومن جرّاء ذلك سافرت إلى كلكتا مرات ولم يرض أستاذي المعصومي إلا أن أنزل في منزله وأمكث بين يديه وأتابعه ليل نهار وأستظل بظلاله الوارفة ، وكان يحبني كأعز أبنائه وفلذة كبده ، ومن ثم عرفته ولمست محاسنه ومنزلته ومدى عمقه في البحث والتحقيق واطلاعه الواسع على العلوم الأدبية والشرعية وما إليها ، فوقع حبه وفضله ونبله ورتبته في قلبي كل موقع :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا [٢]

وكلما دعاني الأستاذ إلى كلكتا أجبت دعوته لأن مجيئي إليه

---

* قسم الاختصاص في علوم الحديث ، دار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ .

[١] نشر في مجلة البعث الإسلامي (لكناؤ ، عدد رمضان ١٤١١هـ ، ثم في " بحوث وتنبيهات " (١٥٧/١ – ٢٠١) .

[٢] اختلفوا في عزوه إلى قائله على أقوال ، فعزاه الصفدي في " الوافي بالوفيات " (٤٠٠/٢٤) إلى ابن الطُثريّة (ت ١٢٦هـ) بلاشك .

يسرُّه ولم أدخر وسعاً في مسايرة أيّ مناسبة من أفراح وأحزان تنوط به ، ولم تنقطع صلتي به حتى رحل أستاذي إلى رحمة ربه صباح يوم الثلاثاء ٢٣/ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ الموافق ١٧/ يونيو ٢٠٠٩م ، بعد أن قضى حياةً حافلةً بالبحث والتحقيق وكسب احترام العلماء وتقدير الباحثين .

تلقت الأوساط العلمية والأكاديميات الأدبية والدوائر التعليمية الحكومية والمؤسسات التعليمية والجامعات العصرية والمدارس الإسلامية نبأ وفاته بالحزن والأسى البالغين ، وعُقدت حفلات التأبين للتنويه بجهوده العلمية الضخمة الدسمة في مناطق مختلفة بمدن الهند ، وقد عقدت جمعية الطلبة بدار العلوم لندوة العلماء (لكناؤ) حفلة التأبين في القاعة الجمالية برئاسة رئيس الجامعة الجليل آنذاك معالي الشيخ محمد الرابع الندوي في ٢٠٠٩/٦/٢٣م ، حضرها أعلام الجامعة وطلابها ، وقد أسعدني الحظ أن ألقيتُ فيها مقالةً ضافيةً حافلةً بجوانب شتى من حياته وتراثه العلمي والأدبي شعراً ونثراً في اللغتين العربية والأردية ، وحاولت إبراز منزلته في مجال البحث والتحقيق ، وفعلاً نالت مقالتي إعجاب الحاضرين في تلك الحفلة بل الندوة العلمية وأدلى فيها عدد من علماء الجامعة بدلوهم وعلى رأسهم :

فضيلة الشيخ محبوب الرحمن الأزهري وفضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي رئيس ندوة العلماء وفضيلة الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي المستشار التعليمي لندوة العلماء ، وفضيلة الدكتور سعيد الأعظمي مدير دار العلوم ، وأشادوا بخدمات الأستاذ المعصومي الجُلّى في مجال العلم والأدب والبحث والتحقيق ، ثم عقدت أكاديمية العلامة شبلي النعماني بأعظم كره حفلة التأبين ودُعيتُ فيها لعرض ورقة نشرت بعدُ في مجلتها الشهيرة الشهرية " معارف " في العدد الثالث من مجلدها الرابع والثمانين بعد المائة سبتمبر ٢٠٠٩م .

هذا ، وبسبب اعتنائي بالأستاذ المعصومي وشغفي بتراثه العلمي الفذ اقترح عليّ كثير من محبيه في الجامعات والمراكز العلمية من أصدقائي وتلامذتي وأحباب الأستاذ المعصومي أن أقدم رسالة الدكتوراه حول :

" الأستاذ العلامة أبو محفوظ الكريم المعصومي حياته وآثاره " : في جامعة من جامعات الهند ، تحقيقاً لرغبة الجميع ووفاءً بعهد أستاذي سجلت الموضوع في القسم العربي بجامعة لكناؤ وأنجزت مراحل الالتحاق .

بَيْدَ أنّ كتابة البحث حول حياة المعصومي وآثاره كان أمراً صعباً جداً ، وذلك لعدم توافر المادة العلمية عنه سوى مجموعة مقالاته " بحوث

وتنبيهات " ، رغم ذلك عزمت الكتابة وشمرت عن ساق الجد متوكلاً على الله ، وقد عانيت في سبيله ما يُعاني كل باحث ملم بموضوع لم يُطرق ولم يُخدم سابقاً ، وقد حالفني توفيق الله وفضله في ذلك .

ثناء العلماء والأعلام عليه :

وقد أثنى على أعمال المعصومي وجهوده العلمية والأدبية نخبة من العلماء الأعلام في حياته وبعد مماته ، هاكم ثناءهم عليه حسب مراتبهم العلمية :

ثناء العلامة عبد العزيز الميمني (ت١٩٧٨م) عليه : قال الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي : " ومن غريب المصادفات أن أول مقال نشره الأستاذ المعصومي بالعربية عام ١٩٥١م ، وهو ابن عشرين سنة ، كان عن صاحب قصيدة العروس التي نشرها الأستاذ الميمني ضمن (الطرائف الأدبية) .

وعقب عليه الأستاذ الميمني في مقاله الذي نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بعنوان " جلاء العروس أو نظرة على قصيدة العروس مرة أخرى " خالف فيه ما ذهب إليه الأستاذ المعصومي في تعيين صاحبها ، إلا أنه أثنى عليه قائلاً : " . . . . فأعجبني منه حرصه على البحث والتنقيب والنظر والتمحيص ، والمجتهد أصاب أو أخطأ لا يحرم ثوابه وإن حرم صوابه ، على أن فيما زبر قلمه فوائد علمية لا يستهان بأمثالها ، وكل نفس تجزى بأعمالها ، وقد كان تجمع عند العاجز طول هذه المدة فوائد يعرف قدرها أمثاله من المغرمين بالعلم . . . . . " [١] .

وعلّق الدكتور الإصلاحي على ثناء الميمني هذا على المعصومي قائلاً : " هذا الثناء من الأستاذ الميمني وبخاصة على باحث شاب ينتقده ، له قيمة كبيرة عندالذين يعرفونه " [٢] .

تنويه الأستاذ حمد الجاسر بتحقيق المعصومي للتراث الإسلامي : قال الأستاذ حمد الجاسر (ت ٢٠٠٠م) تحت عنوان : " عناية علماء الهند بالهجري " [٣] : " أما الأستاذ أبو محفوظ الكريم المعصومي ، وهو من علماء الهند البارزين في الأبحاث العربية ، وممن قرأ له الباحثون أبحاثاً على درجة كبيرة من التحقيق والعمق في " مجلة المجمع العلمي العربي " .

---

[١] تصدير الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي لـ " بحوث وتنبيهات " (١: ١٥) .

[٢] المصدر نفسه .

[٣] من كتابه : " أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع " ، ص ٩٩ ، ط دار اليمامة بالرياض ١٣٨٨هـ .

وأضاف الجاسر قائلاً : " وتحدث الأستاذ أبو محفوظ الكريم المعصومي عن الهجري ونوادره في مؤتمر المستشرقين السادس والعشرين المعقود في (دهلي) سنة ١٩٦٤م ، وأشار إلى أنه قد هيّأ الكتاب للطبع وأورد في حديثه معلومات ذات قيمة عن هذا الكتاب ، واستدرك أشياء على الأستاذ زبير الصديقي ، ويدل ما قرأنا من بحثه على غزارة علم ، وعمق معرفة " [١] .

كلمة الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي (ت ٢٠٢٣م) : أشاد فيها بعكوف المعصومي على العلم ومثابرته على البحث قائلاً : " كان من المحققين النقاد ، والعلماء الأفاضل الذين لهم أياد سابغة في مجال تحقيق النصوص وبحثها ، والدراسة النقدية ، فأحدث موته فراغاً في هذا المجال ، وذلك لأنه كان بجهده المتواصل وإرهاق نفسه في سبيل البحث والدراسة يمثل قدوة مثالية لطلبة المدارس وأساتذة الجامعات ، وقد أثبت الشيخ المعصومي بحياته الحافلة بالإنتاجات العلمية والبحوث القيمة في مجال التحقيق أن الإنسان مهما يكن خامل الذكر ، فاقد السمعة بين الناس إنما يستطيع بإدامة بذل الجهود ومواصلة العمل أن يحرز قصب السبق في المضمار العلمي ، وأن يحجز مقعده في أعلى المستويات ، كما أن الشيخ لم يكن في بدايته كسب الصيت مثلما أكسبه الله في أواخر أيام حياته ، فإن أول درس نستوحيه من خلال استعراض مسيرته العلمية أن البحث والدراسة تفتقر إلى إعمال الفكر وإمعان النظر وإتعاب الجسم ، وإخلاص النية له وحده ، فإذا كانت الدراسة يصاحبها السعي الحثيث والإخلاص أتت بثمار يانعة طيبة " [٢] .

قال عنه الكاتب الإسلامي الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي (ت ٢٠١٩م) : " إن من مزاياه البارزة التي تستحق أن يقتدي بها الطلبة والدارسون هو عدم الاكتفاء في النقل ، وإبداء الرأي بدون محاباة وتقليد في ضوء ما توصل إليه بحثه ودراسته ، والانزواء والانقطاع إلى العلم والدراسة وعدم الادعاء ، والتواضع والبساطة والجدية والرسوخ في العلم والتبحر فيه ، وغربلة وتمحيص دراسات المتقدمين وتحقيقاتهم القديمة والبحث العلمي المتزن والدراسة الموضوعية " [٣] .

---

[١] المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

[٢] صحيفة الرائد (بلكناؤ) المجلد : ٥١ ، أول يوليو ٢٠٠٩م ، ص ١٤ .

[٣] المصدر نفسه .

أثنى عليه الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي قائلاً : " فإذا نظرنا إلى شخصية العلامة المعصومي العلمية والدراسية ، من خلال هذا الكنز الثمين الذي يكاد يكون موسوعة علمية وأدبية ، أدركنا أنه من الرجال الأفذاذ في هذا العصر ، وقد أكرمه الله سبحانه وتعالى بالذوق السليم ، والغوص في بحر المعارف ، والعلوم الإسلامية والعكوف على الدارسة والتحقيق ، وجعل ذلك فيه طبيعة متميزة يعرف بها بين أوساط الباحثين ، والمحققين من العلماء " [1] .

قال عنه الدكتور إبراهيم بن محمد البطشان (الملحق الثقافي السعودي في نيو دلهي سابقاً) : " اشتهر – رحمة الله عليه – بالتدقيق والتحقيق في أبحاثه وتعليقاته مع بصر بالعربية عجيب ، وحافظة فذة حتى إنني شهدته قبل وفاته بأسبوعين ، وهو على فراش الموت ، فكان يحدثني وهو مستلق على ظهره ، وتنفرج أساريره للحديث عن العلم والعلماء ، وكلما سألته عن حالته الصحية نقل الحديث إلى شؤون العربية والتراث ، فتنثال المعلومات وهو لا يكاد يخرج الكلمات من صعوبة التنفس .

وأضاف الدكتور البطشان قائلاً : " ولم تكن للمعصومي شهرة ذائعة في الأوساط العلمية لما جبل عليه من التواضع والأنفة ، والبعد عن الشهرة وحب الظهور ، إلا أن من يعرفون فضله من المحققين الأعلام يقدرون علمه ، ويعترفون بفضله ، فقد كانت له يد طولى في الحديث وعلوم التفسير ، والتاريخ ، وأما العربية فلست أعلم أحداً من الأحياء يضاهيه ، هذا مع أسلوب جميل ، وبراعة شعرية ، وتمرس في اللغات الأردية والفارسية والإنجليزية " [2] وأنهى البطشان حديثه عن المعصومي قائلاً :

" . . . . . ولعل من أهم أعماله – رحمه الله – تحقيقه وتعليقاته على نوادر أبي علي الهجري في نسخة الجمعية الآسيوية (ASIATIC SOCITY) بمدينة كلكتا حيث استطاع قراءة مالم يستطع الشيخ حمد الجاسر قراءته لتلف أصاب النسخة بعد ما نسخها المعصومي ، وقد حدثته – عليه رحمة الله – عن هذه النسخة فأشار إلى أنها عنده في مكتبته ، ولكنه لا يعلم مكانها " [3] .

---

[1] مجلة البعث الإسلامي (بلكناؤ) المجلد : ٤٧ ، العدد : ٦ ، صفر – ربيع الأول ١٤٢٣هـ ، ص ٩٧ .

[2] الجزيرة : ٢ رجب ١٤٣٠هـ ، العدد : ٢٨٩ .

[3] المصدر نفسه .

اعتراف الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي بمنزلته بين معاصريه : " يُعد الأستاذ المعصومي مثلاً فذّاً بين نظرائه من علماء الهند ، فهو عالم ذو باع طويل في العلوم الإسلامية وبخاصة في التفسير والحديث والتاريخ ، أما العربية فقد سيط حبها من لحمه ودمه ، فبرّز فيها عالماً وأديباً وكاتباً وشاعراً ، مع تضلعه من اللغات الفارسية والأردية والإنجليزية .

وعلاوة على ذلك كله هو بحاثة من الطراز الأول ، معنيّ بالتراث الإسلامي مطبوعه ومخطوطه ، ولا أعلم من معاصريه من علماء شبه القارة الهندية من اجتمعت فيه هذه الخصال كلها معاً ، وقد تجلت خصاله في كتاباته من حيث تنوع موضوعاتها وكثرة مصادرها ، ووسمت منهجه في البحث والدراسة بسمات متميزة " [1] .

أشاد المحقق الفاضل محمد عزير شمس بعلو مكانته في البحث والاستدراك قائلاً : " وخاتمة هؤلاء الأعلام العلامة الشيخ أبو محفوظ الكريم المعصومي الذي قام بنشر بعض النصوص النادرة . . . . إلا أنه اشتهر بالاستدراك والنقد لبعض الدواوين وكتب التراث التي حققها مشاهير المحققين ، فهو بهذا قد شاركهم في تحقيقها وتقويم أودها ، ومن أهم هذه الاستدراكات والتصحيحات نقده لثلاثة أجزاء من " سير أعلام النبلاء " ، للذهبي بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، ونقده لـ " سمط اللآلي " ، و " ديوان حميد بن ثور الهلالي " ، و " قصيدة العروس " (كلها بتحقيق العلامة الميمني) ونقده لـ " ديوان ابن الدمينة " بتحقيق الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، و " ديوان جميل بثينة " بتحقيق الدكتور حسين نصّار ، وديوان بشر بن أبي خازم ، و " ديوان ابن مقبل " (كلاهما بتحقيق الدكتور عزة حسن) [2] .

ويرى كاتب هذه السطور : أن الأستاذ العلامة أبا محفوظ الكريم المعصومي أحد كبار المحققين وفحول الأدباء الباحثين والشعراء المفلقين ، وأضراب العلماء السابقين ، يساجلهم منقبة وقدراً وإن تأخر عنهم طبقة وعصراً ، برّز في العربية عالماً وأديباً وكاتباً وشاعراً مع تضلعه من اللغات الفارسية والأردية والإنجليزية ، وقد جمع الله في شخصه الفذ محاسن الفضائل وأحاسن الفواضل بصنوفها الجمة ، خدم

---

[1] تصدير الإصلاحي لـ " بحوث وتنبيهات " (١ : ١٣) .

[2] شبكة الألوكة تاريخ الإضافة ، ٢٠١١/٣/٢٦م .

العلوم الإسلامية خاصةً التفسير والحديث والتاريخ كما يلاحظ من جريدة بحوثه ومقالاته وتحقيقاته في لغات شتى .

ومن جرّاء ذلك أثنى عليه جهابذة المحققين المعاصرين كالميمني علامة شبه القارة الهندية وحمد الجاسر علامة الجزيرة العربية واعترفوا بنبوغه في العلم والأدب وعلو كعبه في مجال البحث والتحقيق ، قلما وجد له نظير في الأعلام من أبناء جيله ، قرأ كثيراً وجمع علماً جمّاً وكتب وألّف وحقق وصحّح وناقش واستدرك وترجم كنوزاً كثيرة من اللغتين الأردية والفارسية إلى العربية ، ووقف على نوادر المخطوطات في مكتبات الهند الزاخرة العامرة الغامرة ، واطلع على خبايا زواياها وأخرج من بطونها شوارد الفرائد وأوابد اللطائف ، نثره رفيع رائق وشعره رقيق فائق .

لا جرم أنه نابغة العلم والأدب ومن أفذاذ الرجال ، يُعد من روّاد التيار العلمي المنهجي الحديث المتبع ، جمع بين الأصالة والإبداع والتدقيق والتنميق والبحث والتحقيق ، وإنه لا يرى في مضمار العلم والبحث التقليد والجمود ، جمع بين رزانة القديم وجزالته وروعة الحديث وسلاسته ، فأسلوبه علمي رزين رشيق ، وكل بحث من بحوثه يضيف شيئاً جديداً إلى العلم وهو إما يكشف عن مجهول أو يصحح أوهاماً وأغاليط أو يوضح غوامض أو يبرز حقائق لم تُكشف أو يحل عقداً لم تُنحل .

أما نثره فرفيع رائق ، قرض شعراً رائعاً في معظم صنف من أصناف الشعر العربي وجل شعره رثاء ، رثى به أعلام العلم والأدب وأقطاب الفكر والدين .

فمنهجه عال جداً ، يمتاز بالاستقصاء في جمع المعلومات وشدة التحري والتمحيص ودقة الموازنة والدراسة والتحليل .

وإنه توفر على العلم للعلم وحده غير مبتغ جزاء ولا شكوراً ، وتحلى بالتواضع والبساطة والجدية والرسوخ في العلم والتبحر فيه متنزهاً عن الشهرة وحب الظهور والرئاسة ، جاءت إليه المناصب والتقديرات والجوائز بحذافيرها راغمة وهو زاهد فيها غير مكترث لها .

وإنني جدُّ سعيد لتوفيقي الكتابة حول حياة الأستاذ المعصومي وآثاره العلمية والأدبية مع اعترافي بقلة البضاعة وقصور الباع ، وبنعمة الله وفضله تتم الصالحات ، وتتحقق الآمال . وما توفيقي إلا بالله .

جاهلية القرن الحادي والعشرين
كما تصوِّرها تسريبات إبستين

محمد فرمان الندوي

شهد العالم بأسره مقاطع تسريبات إبستين بأم عينيه ، فهزته هزةً شديدةً ، وذهبت به إلى حالة مدهشة من الغفوة والذهول ، وأحدثت زلزالاً شديداً في السياسة العالمية ، فكل من كان يحمل في قلبه ذرةً من الشعور بُهت وتحير ، فلا يقر له قرار ، ولا يهدأ له بال ، وبدأ يحاول في معرفة هذا المجرم الوقح ، فانكشف أمامه أن جيفري هو إدوارد إبستين (١٩٥٣م – ٢٠١٩م) رجل يهودي أمريكي الجنسية ، وكان يُعد في رجال أعمال وعلاقات واسعة ، لكنه كان مرتكب جرائم جنسية ، استقطب حوالي ألف من الفتيات القاصرات والمراهقات والشابات في جزيرته ، كن يتعرضن لعمليات جنسية وعنف شديد على يده وعملائه ، وبدأت المحاكمة مع جيفري في فلوريدا منذ ٢٠٠٥م ، عندما شكت إحدى الأمهات أن ابنتها التي تبلغ من عمرها ١٤ عاماً ، قد تعرضت لاعتداء جنسي من جيفري ، وجرت الإجراءات حتى تم القبض عليه ، واعتقاله في السجن نحو ١٣/ عاماً ، ثم أفرج عنه ، وبدأ يعمل حتى اعتقل مرةً ثانيةً ، ومكث في السجن إلى انتحاره عام ٢٠١٩م .

شكل جيفري شبكةً علاقات واسعة ، ضمت شخصيات سياسيةً ورموزاً عالميةً ، ونجوماً ساطعةً في دنيا الاقتصاد ، وقد أرسل إليها رسائل إلكترونيةً ، ومقاطع صوتيةً ، وهي دليل على ارتكاب جرائم بشعة ، وانتهاكات جائرة ، وقد تضمنت الوثائق نحو ثلاثة ملايين صفحة ، وألفي مقطع و أكثر من ١٨٠ ألف صورة ، وفقاً لوزارة العدل الأمريكية ، وقد صدرت ردود عمل على هذه الملفات ، فقال بلانش نائب المدعي العام الأمريكي : إن مقاطع الفيديو بعضها مواد إباحية تجارية ، وبعضها التقطها إبستين وأشخاص آخرون من دائرته .

طبيعة الغرب وفكرته الرعناء :

هذا هو الوجه الكالح للغرب الذي ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، لكن أصبح الظاهر الآن مخوفاً ومرعباً ، وقد اختمرت طبيعة الغرب بالمادية البحتة ، وهي سليلة الحضارة اليونانية ، ووليدة الحضارات الوثنية ، وظلت تحتفظ بهذه الخصائص وفطرتها ، وترث علومها وآدابها وأفكارها ، حتى برزت كما يقول الإمام الندوي : في ثوب برَّاق يوهمك بطلاوته وزهو ألوانه أنه جديد النسج ، ولكن لحمته وسداته من نسج اليونان والرومان ، وقد تلخصت هذه الفكرة في أربع نقاط : (١) الإيمان بالمحسوس وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحس (٢) شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزايد بمنافعها ولذائذها (٣) قلة الدين والخشوع (٤) النزعة الوطنية ، فالفكرة التي تقوم عليها حضارة غربية هي المادية ، والمادية تركز الإنسان على التمتع بلذائذ الدنيا ، والانتفاع بزخارفها ، وقد مثل هذه الفكرة القرآن الكريم قائلاً : (إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) [المؤمنون : ٣٧] ، وقال شَاعَر عربي :

تمتع من شميم عَرار نجد فما بعد المنية من عرار

انتهاكات حقوق الإنسان في التاريخ :

إن انتهاكات حقوق الإنسان في هذه الحضارة ليست بدعاً من الأمر ، بل شاعت وعمت كل مستوى من المستويات ، كلما كان هناك خلاف أو شقاق ، أو حدث نزاع أو خصام بين فريقين كان جراء ذلك قتل وتشريد ، واعتقال وإعدام ، أما التعاملات مع العبيد والطبقات المتخلفة في هذه الحضارة فبمجرد ذكرها يطرق الإنسان رأسه حياءً وخجلاً ، ويتندى لها جبين الإنسانية ، وقد سجل التاريخ عمليات محاكم التفتيش في التاريخ المسيحي أنه قد أعدم آلاف مؤلفة من الناس بأقل خلافاتهم ونزاعاتهم ، وكانت هذه المحاكم مؤسسات نشطة في البلدان الكاثوليكية في أوربا ، وهي تواصل نشاطاتها ضد الأفراد الذين يضادون فكرة الكنائس ، فكان أمثال هؤلاء الناس يعذبون في السجون تعذيباً ، وتملأ بطونهم بالماء حتى الاختناق ، ويوضع في أجسادهم الحديد المحمي ، وتسحق عظامهم بآلات ضاغطة ، وتمزق الأرجل والأيدي ، ويوضع الناس في توابيت مغلقة بها مسامير حديدية ضخمة ، تنغرس في جسم المعذب تدريجياً ، أو في أحواض يوضع فيها الرجل ، ثم يسقط عليه الماء قطرة قطرة حتى يملأ الحوض ويموت ، وكان المجرمون يدفنون أحياء ويجلدون بسياط من حديد شائك ، وتقطع ألسنتهم بآلات خاصة ، هكذا كانت الوحشية والبربرية مع

الإنسانية في محاكم التفتيش .

وقد فاقت اليهودية في انتهاك حقوق الإنسان من المسيحية الرقم القياسي ، فقد جبلت على العنصرية ، والاستعلاء على جميع الأعراق والأجناس ، ولا يزال اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، ومعنى شعب الله بالعبرية ألوهيم ، وأما ماعداهم فهم جوييم أي أراذل وأشرار ، ففي غزة العزة قد تلطخت الآن أيديها بدماء سبعين ألفاً من الرجال والنساء والأطفال والصبيان والضعفاء والمعاقين ، كأنهم حيوانات الغابة تعيش على امتصاص الدماء ، وأكل لحومها ، ولا تطيب لها حياتها إلا بالقتل والتشريد ، وإقامة الحواجز والعوائق أمام الناس ، ولا شك أن شعورهم بالاستعلاء هو الذي يحفزهم على اقتراف هذه الأعمال المجرمة ، والانتهاكات الوحشية .

منشأ الجاهلية ومراحلها المختلفة :

رأت الدنيا في القرن السادس المسيحي العرب الجاهليين الذين كانوا أميين ، وكانوا محصورين في جزيرتهم ، منقطعين عن العالم كله ، وتوجد فيهم أمراض عقدية ، وأدواء خلقية ، وعاهات اجتماعية ، فإنهم كانوا يشركون بالله أصناماً وأوثاناً ، ويتخذونها زلفى إلى الله ، وكانوا يشربون الخمور ، ويرتكبون الفواحش والمنكرات ، فلا توجد معصية على وجه الأرض إلا وقد ارتكبوها ، وسرت فيهم آثارها ، ويظهر نتيجة ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : إن الله نظر إلى الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ، إنهم كانوا يئدون البنات ، ويدفنونهن وهن على قيد الحياة ، فلم تبلغ فيهم الجاهلية إلى هذا الحد مثل ما بلغت اليوم ، فكانت هناك جاهلية القرن السادس المسيحي ، وعاش العالم قبل ذلك جاهلية أولى زمن قوم نوح وعاد وثمود وإبراهيم عليه السلام ، ثم كانت الجاهلية الثانية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الجاهلية الثالثة فهي جاهلية القرن العشرين التي ظهرت فيها الحضارة الغربية بأقبح صورتها ، وأسوء شكلها ، فلم يبق بيت مدر ولا وبر إلا قد عاشت فيها وباضت وفرخت ، وسلبت من أهلها الإنسانية والحشمة والحياء ، وأخذت منها لباس التقوى ، فأصبح الإنسان في هذه الجاهلية ماكينة صناعية تستخدم كيفما تشاء ، وكانت صورته كما قال الشاعر العربي : " وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير " ، وقد ألف الأستاذ محمد قطب مؤلفاً قيماً حول الموضوع : جاهلية القرن العشرين ، وكشف الإمام السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي عن كثير من سوءات هذه

الجاهلية في كتبه ومؤلفاته ومحاضراته .

سلبيات تسريبات إبستين :

لكن جاهلية القرن الحادي والعشرين ظهرت في تسريبات إبستين ، هذه التسريبات ليست مجرد جريمة نكراء أو فاحشة شنعاء ، بل إنها تحمل في محتواها كثيراً من الفضائح والانتهاكات ، وهي جرائم السلطة والمال والجنس ، مع الإفلات عن المحاسبة ، وهي علي ما يأتي :

(١) سقوط الساسة والإعلاميين والأكاديميين ورجال الأعمال المستثمرين في مجالات العلوم والتكنولوجيا في شبكات الرذائل ، وولوغهم في سفك دماء الأبرياء ، وقد كشفت هذه التسريبات عن عدد من رؤساء الوزراء وحكام البلدان أن لهم اتصالات قوية بهذا الرجل جيفري إبستين .

(٢) اختطاف القاصرات من أمكنة شتى ، ثم استخدامهن في الفحشاء والمجون ، ثم قتلهن جماعياً بقلوب قاسية ، وتقطيع لحومهن وإحراقها ، بحيث لا تبقى لهن عين ولا أثر .

(٣) إقامة منظومة نكدة باسم التحالف الأفقي للنخب ، وقد اجتمعت هذه المنظو مة على تبرير الشرور والخبائث ، فيحمي السياسي رجل المال ، ويذكر الإعلامي قدسية المستثمر ، وتعتبر هذه المنظومة نفسها خلاصة العروج البشري والرقي الحضاري .

(٤) خور الحضارة الغربية وضعفها ، وزعزعة بنيانها ، وبقاء ثقافتها على أسس منهارة ، فالرجل الغربي يعتقد أن حضارته تنقذه من المخاطر والمهالك ، لكن ينقلب الأمر ظهراً لبطن ، فلا يتخلص الإنسان من المشاكل ، بل يقع فريسة لها ، حتى لا يكاد ينفلت منها .

(٥) يظن الإنسان أن كل ما يباشر من عمل أو يرتكب من عملية سرية لا يطلع عليها أحد ، ويكون مصوناً من عاقبتها ، فقد فندت تسريبات إبستين هذه الفكرة الخاطئة علناً وجهاراً ، بحيث انكشف الغبار عن وجوه كثير من الذين يعتبرون مثقفين لدى الجميع ، لكنهم غرقى في الانتهاكات الوحشية .

وليتذكر كل عنده بصيص من العقل أن تسجيل الأعمال بالملائكة لا يزال يجري بدقة وخفية ، وهذه التسجيلات تكشف يوم القيامة ، ويرى كل إنسان فيها صورته الحقيقية ، إن خيراً فخير ، إن شراً فشر ، قال الله تعالى : (يَوْمَئِذ يَتَذَكَّرُ ٱلإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ) [الفجر : ٢٣] ، يقول : (يَوْمَئِذ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثاً) [النساء : ٤٢] .

مكارم الأخلاق جوهر الإنسان

بقلم : الأخ محمد إنعام الحق*

(١) المقدمة :

إن مكارم الأخلاق ملاك الفضائل ونظام عقدها ، ومحور فلكها ، وأكثرها إعدادا وتأهيلا لكسب المحامد والأمجاد ، ونيل المحبة بين الناس والاعتداد . وفي حديث صحيح : قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ ، قَالَ : " خُلُقَ حَسَنٌ " [١] .

(٢) تعريف مكارم الأخلاق :

مكارم : جمع المكرمة والمكرم : معناها فعل الكرم ، وفعل الخير ومحاسنه ، والأخلاق: جمع الخلق (بضم اللام وسكونها) : وهو الدين والطبع والسجية [٢] .

وأما في اصطلاح الأخلاق قد عرفها العلماء بتعريفات عديدة ، فأحسن ما قاله الإمام أبو العباس القرطبي (أستاذ الإمام القرطبي المعروف) : وهي عبارة عن أوصاف الإنسان التي بها يعامل غيره ، ويخالطه [٣] .

فمكارم الأخلاق : هي أن يكون سهل العريكة ، لين الجانب ، طليق الوجه ، قليل النفور ، طيب الكلمة [٤] .

(٣) أركان مكارم الأخلاق :

حسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يُتصور قيام ساقه إلا عليها : الصبر ، والعفة ، والشجاعة ، والعدل ، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة [٥] .

(٤) منزلة الأخلاق في الإسلام :

الأخلاق الفاضلة لها منزلة رفيعة في دين الله ، وأن التحلي بها يفتح الطريق أمام الإنسان للسعادة والرضا في الدنيا والآخرة ، والأخلاق

---

* الباحث في الدكتوراه بقسم الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

[١] رواه ابن ماجه برقم ٣٤٣٦ (١١٣٧/٢) ، وأحمد برقم ١٨٤٥٤ (٣٩٤/٣٠) ، وصححه ابن حبان برقم ٤٧٨ (٢٢٦/٢) ، والحاكم في المستدرك (٢٢٠/٤) .

[٢] مختار الصحاح ، ص ٢٦٨ ، لسان العرب (٨٦/١٠) .

[٣] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١١٦/٦) .

[٤] أدب الدنيا والدين الماوردي ، ص ٢٤٣ .

[٥] مدارج السالكين لابن قيم الجوزية (٢٩٤/٢) .

الإسلامية هي القيم والمبادئ والأدب التي يجب أن يتصف بها الإنسان ويتحلى بها ، ولقد حث الإسلام على مكارم الأخلاق ، فهي عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه ، وقد امتدح الله نبيه الكريم بحسن خلقه فقال : (إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [1] .

وفي حديث صحيح قَالَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ " [2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " [3] ، فهذا الحديث يدل بمنطوقه ومفهومه الموافق إلى أن الأخلاق الحسنة كانت موجودة لدى كفار مكة مع رذائلها ونقصانها وقصورها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بإكمالها وإتمامها الحسنة وإنكارها السيئة الرذيلة .

(٥) أقسام الأخلاق :

قسمها العلماء على قسمين : محمود ومذموم ، فالمحمود : إن كانت تصدر عن الشخص الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميتها خلقاً حسناً ، ومنها : صفات الأنبياء ، والأولياء والفضلاء ، كالصبر ، والحلم ، والإحسان ، طاعة الوالدين ، وتحمل الأذى ، وكف الأذى عن الناس ، والتواضع ، والتعاون ، والتسامح ، والمسارعة في حوائجهم ، والرحمة ، والشفقة ، والتثبت في الأمور ، ومجانبة المفاسد والشرور ، وغيرها ، والمذموم : إن كان الصادر عنه الأفعال القبيحة سميتها خلقاً سيئاً ، ومنها : نقيض ما ذكرته كله [4] .

(٦) وسائل اكتساب الأخلاق الحسنة :

لا ريب أن أثقل ما على الطبيعة البشرية تغيير الأخلاق التي طبعت عليها النفس ، إلا أن ذلك ليس مستحيلا ، بل هناك وسائل وأسباب يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حسن الخلق ، ومنها :

(١) سلامة العقيدة والدين : شأن العقيدة عظيم ، وأمرها جليل ، فالأخلاق ثمرة لما يحمله الإنسان من العقيدة والدين ، والانحراف إنما هو ناتج عن خلل في العقيدة ، فإذا صحت العقيدة حسنت الأخلاق تبعا لذلك ، وقال النبي صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كَرَمُ الرَّجُلِ دِينَهُ ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ " [5] .

---

[1] سورة القلم : ٤ .

[2] رواه الترمذي برقم ٢٠٠٢ (٣٦٢/٤) ، صححه الألباني وغيره .

[3] السنن الكبرى للبيهقي برقم ٢٠٧٨٢ (٣٢٣/١٠) ، وصححه الحاكم في المستدرك (٦٧٠/٢) .

[4] إحياء علوم الدين (٥٣/٣) ، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (١١٦/٦) .

[5] مسند أحمد (٣٨١/١٤) ، الدار قطني برقم ٣٨٠٤ (٤٦٦/٤) ، شعب الإيمان برقم

(٢) المجاهدة : أن الخلق الحسن نوع من الهداية يحصل عليه المرء بالمجاهدة ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [١] .

(٣) المحاسبة : أن النفس إذا ارتكبت أخلاقاً ذميمةً ، وحملها على ألا تعود إلى تلك الأخلاق مرة أخرى ، وإذا أحسنت فلها الثواب ، وإذا قصّرت فلها العقاب .

(٤) علو الهمة : فعلو الهمة يستلزم الجد والإباء ، فمن علت همته وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل ، ومن دنت همته وطغت نفسه اتصف بكل خلق رذيل كما قال ابن القيم [٢] .

(٥) الدعاء : فمن رغب في التحلي بمكارم الأخلاق ورغب في التخلي من مساوئ الأخلاق ، فليلجأ إلى ربه ليرزقه حسن الخلق ويصرف عنه سيئه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعاء الاستفتاح : " اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سيئها لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلا أَنْتَ " [٣] .

(٧) مخاطر الأخلاق المذمومة :

قد ينتج عن سوء الأخلاق عدد من التصرفات في حياة الإنسان كالمشاكل واختيار رفقة السوء التي تؤدي بهم المسالك الجرائم والمخدرات ، وشرب الخمور وما إلى ذلك ، فتغيب عقولهم وتكثر سلبياتهم ويشيع الفساد فيمن حولهم ، ولا يسلم منهم الصغير والكبير بمختلف أشكال الأذى ، ثم لا مرد لهم من أمرهم إلا إلى الله عز وجل .

(٨) الخاتمة :

وللأخلاق دور كبير في التأثير على الواقع وتغييره ، ويتميز الشخص عن غيره بأخلاقه الحسنة في الحاضر والبادي والمجتمع والوطن ، فهي فرضية دينية وضرورية اجتماعية ، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ، ونادت جميع الأديان السماوية المختلفة بالأخلاق ، وتغنى بها الشعراء في قصائدهم المختلفة للحث على التمسك بها وقد قيل :

إني سمعت من العطور جميعها ... وعرفت أطيبها على الإطلاق
كل العطور سينتهي مفعولها ... ويدوم عطر مكارم الأخلاق

٤٣٣٥ (٣٦٥/٦) ، صححه الحاكم في المستدرك برقم ٤٢٥ (٢١٢/١) ، وابن حبان برقم ٤٨٣ (٢٣٢/٢) .

[١] سورة العنكبوت : ٦٩ .

[٢] الفوائد لابن القيم ، ص ١٤٤ .

[٣] صحيح مسلم برقم ٧٧١ (٥٣٥/١) .

من أزمة " اللامبالاة " إلى كارثة " اللادينية "

الأخ عبد العلى الحسني الندوي*

لا يخفى على العاقل واللبيب أن العالم الإسلامي بأسره اليوم يعاني من أزمة تلو أزمة ، ويجتاز مكابدة القضايا المفزعة الخطيرة منذ أمد بعيد ، ولا تخلو في واقع الأمر شعبة من شعب الحياة الخلقية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والمادية والروحية على نطاق الفرد والمجتمع إلا وقد دبَّ إليها الوهن والتخاذل والاستكانة والخضوع للحضارات الغربية المختلة المعتلة التي انتزعت الفطرةَ السليمة من المجتمع الإسلامي ، وغرست في شبابه اللامبالاة إزاء الدين الحنيف ، وربما تنعقد المفاوضات والمؤتمرات لمناقشة هذه القضايا ودراسة أسبابها وأبعادها والبحث عن حلولها والتي يحضرها ممثلو البلاد وبعثات الأمم ووفود النوادي ، ولكن الحقيقة المرة التي لا مناص لنا منها – ولنا في إدراكها والاعتراف بها خيرٌ بدل أن نعيش في وهم مريح – هي أن المنهج الإسلامي السليم والمقترح القرآني الكامل المتكامل الذي يحمل في طياته موارد معنويةً حقيقيةً لإحياء روح الأمل والعمل وتغذيتهما بالإيمان وسلامة الفكر والوجدان والجادة السوية لدراسة الأسباب المؤدية إلى الخراب والفساد ومعالجة الأوضاع والظروف التي ما ازدادت إلا تدهوراً وتوتراً ، ذلك لم يزل في خفاء وغموض ولا يعثر عليه من يقتصر اطلاعه على الأوضاع المعاصرة فحسب ، ولا يدرك مدى أهميته إلا من أوتي بصيرةً قرآنيةً ربانيةً .

فإذا نظرنا إلى الأمم والشعوب رأيناها في أنحاء العالم الإسلامي كله تواجه أزمةً لا تعادلها أزمة ؛ ألا وهي أزمة اللادينية أو – على أقل تقدير – أزمة عدم المبالاة بالدين ومزاياه ، وهي أزمة الأزمات وكارثة الكوارث ، ومهما كانت المشكلات والتحديات التي يتحدث الناس عنها ويشتكون منها ويتأففون بها ، فهي أهون منها خطراً وضرراً ، وكان

* الباحث في مركز الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي برايي بريلي .

المسلمون قبل حقبة زمنية قصيرة يقودون العالم البشري كله في هذا الصدد بقدوة رائعة متمثلة رغم انحطاطهم المادي وتهورهم السياسي ، وكانوا بمثابة الماء الزلال للذين يظمأون في قيعة جدباء حتى جاءت فترة أخيرة من زمننا هذا ، وكشرت الحضارات اللادينية عن أنيابها وعضتها في أحشاء المجتمع الشرقي الإسلامي ، واكتسحت الأسر والبيوتات ، وغزت الكليات والجامعات ، وما من أسرة مثقفة في الأقطار الإسلامية – إلا من عصم الله – إلا و فيها من يجلها ويستعظمها ويتصدى لكل من يعارض فلسفتها ، وأفضلهم من يقول : إنه مسلم مع أنه لا يفكر في الدين ولا يهتم به كبير اهتمام ، فجعل الإنسان المتحضر يتردد دائماً بين الظلمات والنور والظل والحرور ، ويعيش مداهناً في الدين مستتباً لأي حضارة أو مدنية تقدم له " الحرية المطلقة " من حواجز الدين حتى لا يتذبذب – لو تمس به الحاجة وتحصل له الفائدة – في الركون إلى الكافرين المتغطرسين الذين يودّون أن يتنازل عن دينه شيئاً فيوافقونه ويصانعونه ، قال جل وعلا : (وَدُّوا لَو تُدهِنُ فَيُدهِنُون) .

ومن ثم أصبح عقل هذا الإنسان وعاطفته يميلان إلى شعاراتهم الواهية الموجهة لعداء الإسلام لا غير ، وربما يتدرج إلى الانخراط في طقوسهم اللاغية التي لا يُتصور التورط فيها لأحد أضيف عليه صبغة إيمانية ، فكان المسلمون في تلك الحقبة من الزمان تارةً يقعون فريسةً لنزعات الشيوعية والاشتراكية ، وتارةً للوطنية والقومية العربية وتارةً للحداثة والعصرنة وغيرها من الهتافات المنددة بعضها بعضاً التي تناشد – فيما يبدو – إلى تأسيس نظام عالمي جديد فاقتفوا آثارها وأفكارها الخائبة الخانقة ، ومن الأسف والأسى أننا لم نزل متخبطين في الظلم والضلال ، متجردين عن قيم دين الإسلام ونتلاشى إشراقات النور في مهد الظلام ولا يستلفت أنظارنا تهديد القرآن الصريح (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) فما زال العدد الهائل من الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي اليوم لا يتكيف مع الدين ولا يتماشى مع متطلباته ، بل ربما يستخف مُثله وقيمه الخالدة لِما تسرّبت فيه التيارات الفكرية والثقافية التي تعارض مبادئ الإسلام وأولجت فيه

المدنياتُ المادية البراقة " مركّبَ النقص " وعدم الثقة والاعتزاز بالإيمان ، ومعظمهم يتطورون في البيئة المتجردة عن مظاهر الحياة الدينية ، فمنهم من يؤمن بالله ولا يؤمن برسوله ويؤمن برسوله ولا يؤمن بشريعته ويؤمن بشريعته ، فلا يعتمد على أصحابه وإذا استنطقتهم وخلوت بهم عرفت أنهم يعمهون في طغيانهم واستهتارهم على شفا جرف هار .

وفي ناحية أخرى نرى عياناً بعض المنتمين إلى دين الإسلام ، وهم العرب العرباء يملكون زمام الحياة في بعض الدول العربية ويتولون المناصب القيادية في الشرق الأوسط يبيعون دينهم وكرامتهم وشهامتهم ونخوتهم تارة باسم الاحترام المتبادل والتعايش السلمي النموذجي الرائد ، وتارةً لإنشاء التبادل التجاري والرأسمالي ، ويعتبرون الطقوس اللادينية البحتة نماذج الوئام بين الديانات ، ويحاولون الانسجام والتوافق بين النور والظلام ، فإن الإسلام لا يحظر العلاقات الأخوية بين الإنسان والإنسان والمجتمع الإسلامي وغير الإسلامي والممارسات التجارية فيما بينهما مهما لا تنتهك الحدود الدينية الصارمة من أجل المصالح الدنيوية الركيكة السخيفة ، فهناك خياران متفارقان كالماء والنار اللذين لن ينسجما ولن يمتزجا أبداً ، إما أن يأخذ هذا الإنسان المتردد هذا وإما أن يأخذ ذاك ، وقد صرح به جل وعلا في كتابه الحكيم وقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) .

ولا ريب أن أعظم ثروة نملكها هي ثروة العقيدة والأخلاق التي خلفها الرسول صلى الله عليه وسلم وتوارثتها الأجيال وجاهد في سبيلها أبطال الإسلام ، ولا بقاء للعالم الإسلامي بعد ضياع هذه الثروة الكبرى والنعمة العظمى ، فالحاجة ماسة أن نشمر عن ساق الجد لنضطلع بالمسؤوليات التي تعود إلى كواهلنا ، وأن نكون حذرين للغاية في التعامل مع الأفكار الغربية المستوردة لكيلا نذعن لها على جميع علاتها وأسقامها ولا ننكرها مع كل أرباحها وخيراتها ، بل ينبغي لنا أن نجد مخرجاً بإيجاد حل محايد وسط ، ألا وهو الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع .

خريج دار العلوم لندوة العلماء يفوز بالمركز الأول

في مسابقة الحديث الشريف في جائزة الشارقة للقرآن الكريم والسنة النبوية

الأخ محمد طارق سيف الله الندوي*

تُعرف " الشارقة " بـ " مدينة العلم والثقافة " ؛ وذلك نظراً للحراك العلمي والأدبي والثقافي المستمر على مدار العام ، سواءً في الجوانب الوطنية والدنيوية أو في المجالات الدينية . وتزداد هذه الأنشطة تنوعاً وتطوراً يوماً بعد يوم ، ويعود الفضل الأكبر في ذلك إلى صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ، حاكم الشارقة ، لكونه عالماً متبحراً ، ومؤلفاً قديراً ، ومحباً وشغوفاً بالعلم .

وفي سياق هذا التنوع ، تبرز " جائزة الشارقة للقرآن الكريم والسنة النبوية " ، التي تعطر أجواء الإمارة بشذا الوحيين منذ ثمانية وعشرين عاماً على التوالي .

تشتمل الجائزة على فروع متنوعة في حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، بدءاً من جزء " عم " ، و " تبارك " ، و " قد سمع " ، وصولاً إلى خمسة ، عشرة ، خمسة عشر وعشرين جزءاً ثم القرآن كاملاً . وتتوزع هذه الفروع على فئتين : الحفظ والتلاوة ، مع مراعاة الفئات العمرية المختلفة من الذكور والإناث ، كما تُخصص فروع لروايات القراءة المتنوعة ، وفرع " أجمل تلاوة للماهر بالقرآن " .

أما في جانب الأحاديث النبوية ، فتتعدد الفروع أيضاً ، مثل : " خمسون حديثاً " ، و " المنتقى من بلوغ المرام " ، و " خلاصة الكلام " وغيرها .

وبفضل الله ومنّه ، خلال الدورة الثامنة والعشرين التي عُقدت في نوفمبر ٢٠٢٥م ، نال الأخ نسيم إقبال الندوي المركز الأول في فرع الأحاديث النبوية " المنتقى الجامع من كتاب بلوغ المرام " . وأرجع هذا النجاح بعد فضل الله تعالى إلى أساتذته الكرام في دار العلوم لندوة العلماء ، جزاهم الله أحسن الجزاء في الدارين .

وتقديراً لهذا الإنجاز ، أقامت " مؤسسة الشارقة للقرآن الكريم

* أبو ظبي ، دولة الإمارات العربية المتحدة .

والسنة النبوية " حفل تكريم للفائزين في ٢٢ يناير ٢٠٢٦م ، وذلك في مسرح الجامعة القاسمية بالشارقة . حيث تشرّف الأخ المذكور بتسلم شهادة التقدير من يد سمو الشيخ سالم بن عبد الرحمن القاسمي (رئيس مكتب سمو الحاكم) وسعادة الشيخ سلطان مطر بن دلموك (رئيس مجلس إدارة مؤسسة الشارقة) . كما تم تحويل قيمة الجائزة قدرها ٥ آلاف درهم (مائة ألف وثلاثة وعشرون ألف روبية هندية) في الحساب البنكي خلال أيام

منهجية الجائزة لفرع الحديث (طريقة الأسئلة ومعايير التقييم)

أولاً : استكمال المتن وعزو الحديث :

يتم طرح كلمتين أو جملة قصيرة من متن الحديث (دون ذكر الراوي الأعلى) ، وعلى الطالب القيام بما يلي :

- إتمام المتن : سرد نص الحديث كاملاً وبدقة .
- ذكر الراوي الأعلى : تسمية الصحابي راوي الحديث .
- التخريج والحكم : ذكر مصادر الحديث مع بيان أحكام المحدثين (مثل : أخرجه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه الألباني ، وذكره البخاري تعليقاً ، وغيره) .
- السند : الإشارة إلى الرواة المذكورين في طرق الحديث المختارة إن وُجدت .

ثانياً : معاني الكلمات :

- شرح المفردات اللغوية والاصطلاحية الواردة في نص الحديث شرحاً دقيقاً يوضح مراد النبي صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً : فوائد الحديث :

يُطلب من الطالب ذكر الفوائد المستخلصة من الحديث بصيغة نقاط مرقمة (تتراوح ما بين ٣ إلى ١٠ فوائد) .

رابعاً : كذلك الأرقام كانت خاصةً لأسلوب الإلقاء والأداء مع جودة الحفظ والاستذكار ، ضبط التخريج ، والإلمام بأسماء المصححين والمحسنين . وكان كل شيئ شفهياً .

ملحوظة : تقدم أسرة المجلة تهانئ قلبيةً إلى الأخ نسيم إقبال الندوي الذي ينتمي إلى مديرية مظفر ناغر بولاية أترابراديش ، وهو متخرج في دار العلوم لندوة العلماء عام ٢٠٢٣م . بارك الله في حياته ووفقه لمزيد من الأعمال .

دَلالُ السَّنَابِل وَجَمَالُ المَنَاهِل

الأخ عبد الله راغب*

ثَغْرُ الرَّبِيْعِ بَسُومٌ فَاتِنُ النَّغَمِ ... مَدَىً تَرَدَّى بِثَوْبِ الحُسْنِ وَالعِظَمِ
كَأَنَّ " كَفَّ إِلَهِ الكَوْنِ " قَدْ فَرَشَتْ ... زُمُرُّدًا ، حَارَ فِيهَا فِكْرَةُ الفَهِمِ
" مُدْهَامَّتَانِ " وَسَيْبُ المَاءِ أَلْبَسَهَا ... سَوَادَ خُضْرٍ سَمَا فِي مَبْسِمِ النِّعَمِ
كَأَنَّهَا غِيْدُ " رَوْضٍ " فِي مَلابِسِهَا ... سَنَابِلٌ أُثْقِلَتْ مِنْ خَالِقِ النَّسَمِ
تَمِيْدُ غُنْجًا كَخَوْدٍ فِي غَلائِلِهَا ... تَهْتَزُّ سُكْراً بِفَيْضِ المُنْعِمِ العَمَمِ
وَالمَاءُ يَسْرِي كَسَيْفٍ صِيغَ مِنْ دُرَرٍ ... شَقَّ العَبَابَ بِرِفْقٍ صَامِتِ الكَلِمِ
يَجْرِي لُجَيْنًا سَنِيًّا مِنْ نَضَارَتِهَا ... فِيهِ السَّمَاءُ وَآيُ اللهِ كَالدِّيَمِ
وَالدَّوْحُ تَحْنُو عَلَى الشُّطْآنِ فِي شَغَفٍ ... كَمَا انْحَنَى الرَّكْبُ إِجْلالاً لِذِي الحَرَمِ
وَالزَّرْعُ مِثْلُ حَرِيْرٍ رَاقَ مَلْمَسُهُ ... وَالمَاءُ يَهْمِي بُكَاءً نَحْوَ ذِي السَّجَمِ
تَمْتَدُّ فِيهِ عُيُونُ النَّاسِ ضَاحِكَةً ... كَأَنَّهُ البِشْرُ فِي ثَغْرٍ مِنَ الرِّهَمِ
نَفْسُ السَّكِينَةِ فِي أَرْجَائِهَا هَمَسَتْ ... فِيهَا الطُّمَأْنِينَةُ العُظْمَى لِذِي السَّقَمِ
" نَجْوَى نَسِيْمٍ " نَدِيِّ العِطْرِ يَمْلَؤُهَا ... وَالحُسْنُ فِيهَا بِلا ضَجٍّ وَلا سَأَمِ
أَرْضٌ إِذَا ضَحِكَتْ لِلغَيْثِ تُرْبَتُهَا ... مَارَتْ عُرُوقُ الثَّرَى بِالعِطْرِ وَالشَّمَمِ
سُبْحَانَ مَنْ أَنْبَتَ الخَضْرَاءَ مِنْ عَدَمٍ ... وَصَيَّرَ الجَدْبَ جَنَّاتٍ لِكُلِّ فَمِ
هُنَا السَّكِينَةُ لا ضَوْضَاءَ تَقْطَعُهَا ... إِلا دُعَاءَ طُيُورٍ حِيْكَ مِنْ نَغَمِ
يَا رِحْلَةَ الرُّوحِ فِي آفَاقِ خُضْرَتِهَا ... قَدْ أَوْرَقَ القَلْبُ بَعْدَ اليُبْسِ كَالْعَنَمِ
" رَقُّ الجَمَالِ " تَبَدَّى لِلْحِجَا صُحُفًا ... حُرُوفُهَا الزَّرْعُ بِالتَّسْبِيحِ فِي نُظُمِ
" إِيوَانُ حُسْنٍ " لِهَادِ الخَلْقِ أَبْدَعَهُ ... قَامَتْ دَعَائِمُهُ لِلْخَالِقِ الحَكَمِ
يَا بَاصِرَ الحُسْنِ لا تَعْجَبْ لِزِينَتِهَا ... فَاللهُ أَلْبَسَهَا ثَوْبًا مِنَ الْحِكَمِ
وَاقْرَأْ " كِتَابَ إِلَهِ الكَوْنِ " فِي وَرَقٍ ... " مُدْهَامَّتَانِ " شِفَاءُ العَيْنِ وَالهِمَمِ
وَاحْنِ الجَبِينَ خُضُوعًا فِي بَسِيطَتِهَا ... فَكُلُّ شَيْئٍ لَهُ عَفٌّ عَنِ التُّهَمِ
وَارْحَلْ بِقَلْبِكَ فِي أَنْوَارِ رِحْلَتِهَا ... وَاشْكُرْ عَطَاءَ مَلِيْكٍ وَاهِبِ الْقِسَمِ
وَقَفْتُ لِلَّهِ مَشْدُوهًا بِنَضْرَتِهَا ... صَمْتِي دُعَاءٌ بِمِحْرَابِ أبي الكَرَمِ
يَخْتَالُ حُسْنُكِ يَا أَرْضِي بِزِينَتِهَا ... كَمَا اخْتَلَى الفَخْرُ فِي عِزٍّ بِذِي العَلَمِ
نَظَمْتُ مِنْ دُرَرِ الأَلْفَاظِ جَوْهَرَةً ... تَفُوحُ مِسْكًا بِمَجْدٍ غَيْرِ مُنْصَرِمِ
رَسَمْتُ لِلْحُسْنِ مِحْرَابًا تَطُوفُ بِهِ ... رُوحُ اللَّبِيْبِ بِلا مَلٍّ وَلا وَصَمِ

* حيدرآباد (الهند) .

أعلام من العرب والعجم

تأليف : الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

تعريب : محمد فرمان الندوي

بقلم : الأستاذ الدكتور حسن الأمراني الحسني*

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد : فقد قال الله تعالى : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا) [1] .

الشيخ محمد الرابع الحسنيَ الندوي ، عالم رباني ، وأديب ناقد ، نبغ في الأوردية والعربية ، وأغنى هاتين اللغتين بمؤلفاته . وكان له سبق في التميز ببعض الموضوعات . فقد خدم الأدب الإسلامي منذ وقت مبكر ، وكتابه " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة " ناطق بذلك التميز . وتوالت كتبه بالأوردية والعربية إلى آخر عمره رحمه الله تعالى . وقد كان من آخر كتبه التي وصلتني منه كتاب في السيرة النبوية عنوانه : " سراجا منيرا : سيرة خاتم النبيين " ، وهو كتاب صدر عن دار المقتبس بلبنان ، عام ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م . ويأتي اليوم هذا الكتاب : " أعلام من العرب والعجم " الذي نقله إلى العربية الدكتور محمد فرمان الندوي ، لتكتمل به مكتبة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وعسى أن تنقل إلى العربية سائر كتبه .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّٰهِ تعالى عنه : أَنّ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أو عِلمٍ يُنْتَفعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وهذا الكتاب هو من العلم الذي ينتفع به ، فما أحراه أن ينقل إلى العربية ، وإلى لغات إسلامية أخرى ، لينتفع به المسلمون . يتناول الكتاب أعلاما من العرب والعجم . ومن هؤلاء الأعلام من عاشرهم المؤلف رحمه الله ، ومنهم من عاصرهم . وقليل منهم من عاش قبل زمانه ، ورأى أن من الحكمة أن يعرض لهم ويعرف بهم .

وهذا الكتاب ليس بحثاً أكاديمياً ، بل هو أمشاج يجمع بينها

* رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

[1] القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، الآية : ٢٣ .

الوفاء لمن ترجم لهم .

والكتاب ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أعلام من العرب

وتناول فيه أربعة عشر من الأعلام العرب ، كان من بينهم فؤاد سيزكين ، وهذا من باب التوسع .

القسم الثاني : أعلام من العجم

وتناول فيه أربعة وعشرين علماً من أعلام العجم .

وهؤلاء الأعلام منهم من عاشرهم المؤلف ، ومنهم من عاصرهم ، ومنهم من هو قديم لم يره ، ومنهم من هو متأخر ، مثل الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي المتوفى (١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م) . فأما أعلام العجم فجميعهم من شبه القارة الهندية ، ومن الهند وباكستان بالتحديد . وأما أعلام العرب ، فهم من بلاد كثيرة ، إلا أن أكثرهم من بلاد المشرق .

وقد ارتبطت المقالات في معظمها بمناسبات دلّ عليها السياق ، وكان بعضها على صورة تأبين ، إذ التأبين ذكر محاسن المبين ، وتبيين فضائله ، على عكس الندب الذي يعنى بالتفجع والبكاء على الميت ، وعلى عكس العزاء الذي هو معني باستنباط الحكمة من حياة الميت .

وقد كان الحديث عن هؤلاء الأعلام مناسبة ليطلع على القارئ على عدد من الأحداث الجسام ، مثل تأسيس ندوة العلماء ، وتأسيس جامعة عليكره ، وجامعة ديوبند ، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية ، التي أسست على يد سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي ، وكان للشيخ محمد الرابع الندوي دور في ذلك التأسيس ، بل لم يكن أحد أقرب في ذلك منه إلى الشيخ أبي الحسن الندوي ، حتى كان يرافقه في كل زياراته المتعلقة بالرابطة ، مغرباً ومشرقاً . إلى أن آلت إليه رئاسة الرابطة ، فقام بأعبائها خير قيام ، وإن كانت مدة رئاسته لم تطل ، حيث وافته المنية بعد فترة قليلة من توليه رئاستها . ومع ذلك ظلّ حاضراً في أنشطتها داخل الهند وخارجها ، على ما كان أصابه من وهن في العظم ، وضعف في الجسم . وفي المؤتمر الذي عقده مكتب الرابطة بالمغرب ، حول " الرسول صلى الله عليه وسلم " ، بل يكتفي بإرسال كلمته ، بل لقد ألقاها عن بعد ، عبر " الزووم " ، مما أعطى مشاركته في المؤتمر نجاحاً للمؤتمر .

وهكذا ، فإن القراء يتطلعون إلى كل خط يراعه في غير العربية ، إلى أن ينقل إلى لغة الضاد .

ولقد قيض الله تعالى لكتابه " أعلام من العرب والعجم " الدكتور محمد فرمان الندوي ليقوم بتعريبه عن اقتدار .

للترجمة أهمية بالغة في التواصل بين الشعوب والحضارات ، وفي حضارتنا العربية والإسلامية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول

من سن الترجمة ورعاها . ففي سنن أبي داود ، في كتاب العلم ، قال زيد ابن ثابت رضي الله عنه : " أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود ، وقال : والله إني لا آمن يهود على كتابي ، قال : فما مرّ إلا نصف شهر حتى حذقته ، فكنت أكتب له إذا كتب ، وأقرأ له إذا كتبَ له " .

وقد عني الخلفاء الراشدون من بعده بالترجمة عنايةً كبيرةً . ثم شاعت بعد ذلك على عهد الأمويين ثم العباسيين .

ولولا الترجمة لما تواصلت الحضارات ، ولما تقدمت العلوم .

والترجمة علم له قواعده التي يعرفها أهل العلم ، ولا يكفي فيه معرفة اللغتين ، المنقول منها والمنقول إليها ، بل لا بدّ من فقه أسرار اللغتين .

وقد بذل الأستاذ محمد فرمان الندوي ما وسعه من جهد لتعريب الكتاب . وقد اقتضى ذلك منه الاطلاع على تراجم الأعلام الذين اختارهم المؤلف ، ولاسيما الأعلام العرب ، ففعل على قدر ما يجلي ذلك صورة المترجم لهم . وكان في بعض الأحيان يضيف هوامش تسلط الضوء على المترجم به ، لتقريب صورته أو صورة المقال من القارئ .

ومهما يكن ، فقد أسدى الدكتور محمد فرمان الندوي للقارئ العربي خدمة جليلة بجعله يطلع على كتاب من كتب الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله ، وعسى أن يهيئ الله تعالى تيسير تعريب سائر كتبه .

وهو سبحانه من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

الملفوظات للداعية الكبير محمد إلياس الكاندهلوي

جمع وترتيب : الشيخ محمد منظور النعماني

تعريب : مجيب الرحمن عتيق الندوي

تعريف بقلم الأستاذ عبد الرشيد الندوي *

الحمدُ للّهِ ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا محمدٍ خاتمِ النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَن تبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين .

أمّا بعدُ !

فمِن سُنَنِ اللّهِ الجاريةِ في هذه الأُمّةِ أن يبعثَ في كلِّ طورٍ من أطوارها رجالاً يوقظون القلوبَ إذا فترت ، ويُجدِّدون معاني الإيمانَ إذا بهتتَ ، ويشعلون مجامر النفوس والأرواح إذا خمدت ، ويصلون العَلَمَ بالعمل ، والفقهَ في الدِّين بالبصيرةِ في دعوة الناس إلى الله والتحقق بالعمل

* أستاذ الحديث بدار العلوم لندوة العلماء .

بأركان الإسلام والإيمان والإحسان .

ومِن أولئك الأعلامِ الإمامُ الداعيةُ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله ، الذي نذر عمرَه لإحياءِ الإيمان في القلوب ، وردِّ الناس إلى حقيقةِ العبوديّة لله رب العالمين ، وتكوينِ جماعةٍ مؤمنةٍ تحملُ همَّ الدعوة إلى هذا الدِّين العظيم ، وتسعى في دعوة الناسِ بالحكمة والموعظة الحسنة بروح بالرحمة والشفقة .

وقد كانت كلماتُه – رحمه الله – التي كان يُلقيها ويعظ بها في المجالسِ ، أو يخصُّ بها تلامذتَه وأصحابه ، تفيضُ صدقاً وحرارةً ، وتنبضُ يقيناً وإخلاصاً ؛ لقد كانت كلماتٌ تخرجُ من قلبٍ امتلأ همّاً للأُمّة ، فتقعُ في القلوبِ موقعَ البلسمِ اللطيف المؤثر ، فتزكي النفوس وتنور العقول ، لذلك قام العلامةُ المحدِّثُ الفقيه الأصولي منظور النعماني رحمه الله بجمع ملفوظاته (كلماته) ، في كتابٍ عُرف في الأوساطِ الدعوية والعلميّةِ باسم " ملفوظات الشيخ محمد إلياس " ، فكان هذا الجمعُ توثيقاً لمدرسةٍ دعويةٍ تربويّةٍ معروفة في شبه القارة الهندية باسم (جماعة الدعوة والتبليغ) ، ورسماً لمعالمِ منهجٍ دعوي فريد في التربية وإصلاح الأفراد .

ثم تهيّأ لهذا الكنز الدعوي النفيس أن ينتقلَ إلى اللِّسانِ العربي ، لغةِ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فقام بترجمتِه ترجمةً علميّة رصينة الأستاذُ مجيبُ الرحمن عتيقُ الندوي ، (عميد الشئون التعليمية بدارالعلوم للإمام الرباني في مهاراشترٍ ، الهند) فحفظ روحَ النصّ ، ونقل حرارة العبارة ، وأدّى المعنى أداءً أميناً متيناً .

واعتنى بإخراج هذه الطبعةِ وضبطِها والإشرافِ عليها الدكتورُ عادلُ حسن أمينُ اليمانِي الندوي ، فخرج الكتابُ في حلةٍ وضيئة قشيبة ، محكمةِ التّرتيب ، واضحةِ الفهرسة ، مهيّأةٍ للإفادةِ العلميّةِ .

وزاد هذا العملَ العلمي مكانةً وتوثيقاً علمياً ودعوياً تلك المقدمات القيمة والتقاريظ المتنوعة لكوكبة من كبارِ العلماءِ والدعاة ، تلاقت كلماتُهم على تباعدِ أقطارِهم وتنوّعِ تخصّصاتِهم في الثناءِ على الإمام الداعية المجدد محمد إلياسَ الكاندهلوي ومكانتة الإيمانيّة ، والتنويهِ بقيمة هذه الكلمات الدعوية والتربوية ، فكتبَ العلامةُ الفقيهُ المحدِّثُ شيخ الإسلام محمد تقي العثماني حفظه الله مقدمةً قيمةً عن عمق الأساسِ العلمي في دعوةِ الشيخ إلياس وارتباطِها بأصولِ أهلِ السُّنّةِ والجماعة من المذاهب الأربعة ، وكتب العلامةُ الفقيهُ الدكتور خالد سيف الله الرحماني – الأمين العام للمجمع الفقهي الإسلامي بالهند – مشيداً بالأثرِ الإصلاحيِّ العميقِ لهذه المدرسةِ في واقعِ المسلمين في الهند وخارجها .

كما جاءَ " تقديمُ نُخبةٍ من الأحباب " شاهداً على عالميّةِ الرسالةِ

التي يحملُها الكتاب ، فأسهم فيه جماعةٌ ممن جمعوا بين العلم والدعوة : كالشيخ الرباني المقرئ عبد الرشيد علي صوفي ، والشيخ الداعية علي الغفري مسؤول الجماعة في غزة العزة ، والشيخ الداعية يونس بن محمد التليلي من فرنسا ، وغيرِهم من المشايخ الدِعاة الأفاضل . وجاءت كلماتُهم متآلفةَ المقاصد ، متّحدة الوجهة ، تُبرز قيمة الكتابِ الدعوية وتؤكد حاجة قدماء جماعة التبليغ لقراءته وضرورة توسيع الفكر والفقه الدعوي .

وخُصَّ الكتابُ بمقدّمةٍ علميّةٍ تحليليّةٍ للدكتور محمد أكرم الندوي ولفضيلة الشيخ نعمان الدين الندوي ، اللذين تناولا فيها " الملفوظات " بقراءة منهجيّة واعية ، تُظهِر أهميّتَه في دراسةِ الحركاتِ الدعويّةِ المعاصرة ، وقيمتَه بوصفِه وثيقة ناطقة بمرحلةٍ مفصليّةٍ من تاريخ الدعوة في شبهِ القارّةِ الهنديّة . وكذلك كتب فضيلة الشيخُ الداعية خليل الرحمن سجاد النعماني – المشرف على ترجمة الكتاب – مقدمة رائعة تنبضُ بالحب والوفاءِ الدعوي والعلمي ، وتُبرز العلاقة الحيّة القوية بين هذه الملفوظات وبين صاحبها والجو الإيماني والعلمي والتربوي .

إن كتاب " الملفوظات " ليس كتابَ مواعظٍ فحسب ، وليس عرضاً تاريخيّاً لمرحلةٍ دعويّة ، بل هو بيانٌ حيٌّ لمنهجٍ متكامل في إصلاحِ الفردِ والمجتمع ، وفيه ترسيخٌ لحقيقةِ الإيمانِ ومكانتِه ، وأنّه أصلُ كلِّ صلاح ، وتنبيهٌ إلى أنّ ضعفَ الأعمال سببهَ ضعفِ اليقين ، وأن الذكر يُورث الخشية ، والقيام بالدعوة تخرج الناس من ضيقِ الأنانيّةِ والعصبية القَبلية والوطنية إلى سعةِ الاهتمامِ بأمرِ الأُمّةِ الإسلامية .

وتلمسُ في ثنايا هذه الكلماتِ شفقةً صادقة على عامّةِ المسلمين ، وإحساساً مرهفاً بتقصيرِ معظم رجالات الأُمّةِ في حقِّ دينِها ، مع رجاءٍ إيماني لا يخبو في إمكانِ الإصلاحِ إذا صدق العبدُ مع اللّه تعالى ، وأحيا الإيمانَ في نفسِه أوّلاً ثم فيمَن حولَه ؛ فصاحب الملفوظات لديه روحٌ إيمانية تُذكّر بنفحاتِ السلفِ في التزكية ، لكنها نازلةٌ على واقعٍ اجتماعي معيَّن بروحٍ عمليّةٍ واضحة ، ومنهجٍ تربوي مُحكم .

فقد جمع الشيخُ محمدٌ إلياس الكاندهلوي في شخصيّتِه بين التضلُّع من التفقه في علومِ الحديثِ والفقهِ ، مع انتسابه إلى مدرسةِ كبار علماء الهند التي تنتمي في أصلِها وروحِها إلى الإمام الكبير المحدث الفقيه شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي اللّه الدهلوي رحمه اللّه ، وبين ذوقٍ تربوي عميق تشكّل على أيدي مشايخِه العلماء الصلحاء من أهلِ السنّة ؛ فكان مشروعُه الدعويُّ إحياءً للمعاني الأولى للإسلام في زمنٍ غلبت عليه الغفلةُ والضعف ، بلا انقطاعٍ عن العلمِ وأهلِه ، ولا خروجٍ عن جماعةِ المسلمين .

وأمّا الشيخ العلامةُ منظورُ النعماني ، فقد جمع بين التحقيقِ العلميِّ والغيرةِ على السُّنّة ، والاهتمام بقضايا الأُمّةِ الفكريّة ؛ فجاء جمعُهُ لهذه الملفوظات تعبيراً عن فهمٍ عميق نافذٍ لشخصيّةِ الشيخ محمد إلياس ، وإدراكٍ دقيقٍ لقيمةِ هذه الكلماتِ في رسم معالم المنهج الدعوي .

وتتجلّى أهميّةُ الترجمةِ العربيّةِ في إخراج هذا الكنز الدعوي من إطارِه الهندي المحلّي إلى رحابِ الأُمّةِ الإسلامية الواسعة ؛ فيتعرّف القارئُ العربيُّ على تجربةٍ دعويّةٍ متميزة نشأت في شبهِ القارّةِ الهنديّة ، وكان لها أثرٌ عالميٌّ ظاهر ، ويتمكن العلماء وطلاب علوم الشريعة من معرفتها ودراستِها من خلال نصوصِها ، لا عبر الانطباعاتِ في وسائل التواصل الاجتماعي ، والإنصاف يقتضي أن يتعرفوا على الشيخ محمد إلياس من ملفوظاته الثابته عنه لا من كلام المشككين والمبدعين الغلاة .

إن القراءة المنصفة لهذا الكتابِ تضعُه في موضعِه اللائق : فهي كلماتُ تربيةٍ وتوجيه ، مواعظ إيمانية تُحيي القلبَ وتستنفر الهمّة ، وتدلُّ على طريقِ الإصلاحِ بالإيمانِ والعمل . ومن قرأه بهذه الروح أدرك قدرَه ، وانتفع به في تزكيةِ نفسِه ، وفهم جانباً مهمّاً من تاريخِ الدعوةِ في العصرِ الحديث .

وخلاصة القول : إن صدور " الملفوظات " بلسانٍ عربيٍّ مبين ، مع هذه العنايةِ العلميّة الراقية والرائعة ، وهذه المقدّماتِ العلمية الرصينة ، إضافةٌ علمية ودعوية متميزة إلى المكتبةِ الإسلاميّةِ المعاصرة ، تُعرِّف الأجيالَ بروحِ جماعة دعويّةٍ صادقة ، وبنموذجٍ من نماذج الإصلاحِ القائمِ على الإيمانِ والعمل ، يتميز بالصدقِ مع اللّه تعالى . والشفقةِ على الخلق .

نسألُ اللّه تعالى أن يجزي مؤلّفَ الأصلِ وجامعَه ومترجمه والمعتنيَ به ، وكلَّ مَن أسهم في إخراجِه ، خيرَ الجزاء ، وأن يجعل هذا العملَ خالصاً لوجهه الكريم ، نافعاً لعبادِه ، مُعيناً على إحياءِ معاني الإيمانِ والدعوةِ في القلوبَ .وصلّى اللّه وسلّم وبارك على سيدِنا محمدٍ ، وعلى آله وصحبِه أجمعين

أمراض المجتمع وعلاجها
للشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي

مدير التحرير

صدر حديثاً كتاب أمراض المجتمع وعلاجها للشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام من المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء ، لكناؤ (الهند) ، والكتاب يغطي مائة وستاً وخمسين صفحة ، ويتحدث عن أمراض المجتمع المنتشرة في العالم ، وصدر الكتاب باللغة الأردية عام ٢٠١٧م من مجمع الإمام أحمدٍ بن عرفان الشهيد برائي بريلي ، وذاع صيته واستفاضت شهرته نظراً إلى صغر

حجمه ، وغلاء معنويته ، فكانت الحاجة إلى أن ينقل إلى العربية ، وقد وفق الله تعالى الأخ سعد مبين الحق الندوي لنقله إلى العربية ، فأنجز هذا العمل مع دراسته في قسم التدريب العلمي بدار العلوم لندوة العلماء ، والجدير بالذكر أن الكتاب بكامله قد نشر في صحيفة الرائد الصادرة من مؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء ، لكناؤ ، في حلقات متتالية .

ينقسم الكتاب في ثلاثه أبواب : الباب الأول يتحدث عن أمراض القلوب ، وهي الكبر والحسد والحقد والضغينة وسوء الظن والتجسس والأثرة والرياء والسمعة ، والباب الثاني يتناول أمراض اللسان من أهمية اللسان والكذب والغيبة والبهتان والنميمة والسخرية والفحش في القول ، أما الباب الثالث فهو يضم أمراض المال من محبة الدنيا والحرص والطمع والخيانة والتطفيف وآفة الرشوة وتقسيم الميراث بغير ما شرعه الله والربا ، ويتحدث مؤلف الكتاب عن أهميته قائلاً : " فإن هذا الكتاب الذي بين أيديكم قد أعد للتنبيه على هذه الأمراض وتشخيصها ، وما أحسن لو نهض بهذا العمل عبد من عباد الله تعالى ، سليم من هذه الآفات ، ليكون لكلامه وقع وتأثير، غير أن العبد الضعيف قام بهذا العمل رجاء أن يجعله الله سبباً لإصلاح نفسه أولاً ، ولإصلاح الآخر ثانياً ، وأن يكون نافعاً للكاتب قبل القارئ ، لعل الله سبحانه يتقبل هذا الجهد ، ويجعله وسيلة لإصلاح الفرد والمجتمع " .

كان الكتاب متحلياً بالمراجع والمصادر ، لكن المترجم أضاف إلى الطبعة العربية بعض الحواشي والتعليقات مستمدة من ستة وأربعين مرجعاً ، وأدرج تفاصيلها في قائمة المراجع ، وقد أدى في ذلك أمانة النقل والإحالة بحيث أرجع الأمور إلى نصابها ، فهو يستحق من القراء الثناء والتقدير على هذا العمل

لا شك أن هذا الكتاب حاجة الساعة ونداء الوقت ، لأن العصر الراهن يشهد كثيراً من الناس عامتهم وخاصتهم قد أصيبوا بهذه الأمراض القلبية واللسانية والمالية ، ولا يشعرون بذلك نظراً إلى انغماسهم في الماديات ، وتورطهم في أوحال الرياء والسمعة ، فإن هذا الكتاب جاء في أوانه وفي مكانه ، بحيث يضع النقاط على الحروف ، فلا يكتفي المؤلف ببيان الأمراض ، بل يقدم لها حلولاً ناجعة ، وردوداً شافية ، فكل من تحلى بهذه الصفات الحميدة وابتعد عن الصفات الرذيلة صار مغبوطاً لدى الجميع ، وحائزاً مكانة سامقة الذرى .

ونحن إذ نكتب تعريفاً موجزاً بالكتاب ندعو الله تعالى أن يبارك في عمر المؤلف وأعماله العلمية والإصلاحية حتى يتحف القراء بأمثال هذه النوادر العلمية ، كما ندعو لمترجم الكتاب بمزيد من التوفيق والسداد .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(١) الحاج ملك شاهنواز خان إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة اللّٰه تعالى الحاج ملك شاهنواز خان في ١٨/ رجب ١٤٤٧هـ – المصادف ٨/ يناير ٢٠٢٦م ، وذلك يوم الخميس بعد صلاة العصر ، فإنا للّٰه وإنا إليه راجعون .

كان الحاج ملك شاهنواز خان ينتمي إلى " وائت جرج " كالوني من مدينة إندور ، وكان والده ملك مصطفى خان ، وكانت علاقته بالمفكر الإسلامي العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي قوية ، فكان يزور ندوة العلماء العلماء حيناً لآخر ، وحينما قام العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي بجولة دعوية لمدينة إندور وضواحيها على دعوة من الشيخ القاضي معين اللّٰه الندوي (نائب رئيس ندوة العلماء الأسبق) ، وقد رافق الشيخ الندوي في هذه الجولة الشيخ محمد مرتضى النقوي المظاهري والشيخ محمد برهان الدين السنبهلي من أساتذة دار العلوم لندوة العلماء سابقاً ، استضاف الحاج ملك شاهنواز خان هذا الوفد ، ووفر له التسهيلات اللازمة للذهاب إلى منطقة " ماندو " التاريخية الشهيرة .

كان الحاج ملك شاهنواز خان عضو الهيئة التنفيذية لندوة العلماء ، فكان يحضر دوراتها السنوية ، ويزور المؤسسات والمدارس الأخرى في البلاد ، ويحب العلم وأهله ، ويساعدهم حسب ما آتاه اللّٰه تعالى من الخير .

ترك وراءه ابنين وبنتين وزوجةً ، فأما الولدان فهما شارق ملك وشاكر ملك ، وقد رزقه اللّٰه من العمر ٨٣ عاماً .

غفر اللّٰه له ، وأمطر عليه شآبيب رحمته ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

(٢) الطبيب محمود شبير إلى رحمة اللّٰه تعالى

انتقل إلى رحمة اللّٰه تعالى الطبيب محمود شبير يوم السبت في ١٠/ رمضان ١٤٤٧هـ ، المصادف ٢٨/ فبراير عام ٢٠٢٦م ، في حي شيخ وار بمدينة أناؤ ، بولاية أترابراديش (الهند) ، بعد ما عانى مرضاً مضنياً إلى مدة طويلة ، وقد أدخل قبل وفاته في مستشفى فهمينه بمدينة لكناؤ ، لكن لم يكتب له الشفاء والبرء ، ولبى نداء ربه بالغاً من العمر ٨٥/ عاماً ، فإنا للّٰه وإنا إليه راجعون .

كان الطبيب محمود شبير من مدينة أناؤ بولاية أترابراديش (الهند) ، وكان

والده محمد بشير ، وكانت له قرابة بالشيخ ضياء الرحمن الأنصاري وزير الحكومة الهندية الأسبق ، وعضو الهيئة التنفيذية لندوة العلماء ، وُلد الطبيب محمود شبير في ٢٣/ أغسطس عام ١٩٤٢م ، ونال شهادات عصريةً في مجالات عديدة وخاصةً في علم الطب ، فكان طبيباً بارعاً ، وعالج الناس واشتغل بهذه الوظيفة إلى مدة طويلة في أماكن مختلفة، ثم عاد إلى أناؤ ، وركز عنايته على أمور سياسية وخدمة الخلق ، حتى وافاه الأجل .

كان الفقيد معروفاً لدى الناس بمساعداته السخية وإحسانه إلى الفقراء والمساكين ، والأيتام والأرامل ، ونشيطاً في الأوساط السياسية والاجتماعية ، بكت عليه القلوب والعيون حينما انتشر خبر وفاته في المدينة ، وأديت عليه صلاة الجنازة بإمامة الأستاذ محمد معاذ رياض الندوي (سبط الفقيد ومدرس المعهد الثانوي بدار العلوم لندوة العلماء) خارج شاهي مسجد بأناؤ ، وتم دفنه في مقبرة اي بي ناغر ، بأناؤ .

خلف الطبيب محمود شبير وراءه أسرةً مكونةً من الابن وهو الأستاذ عابد متين أشرف الندوي ، وبنتين ، فإحدى بناته زوجة الأستاذ المقرئ محمد رياض المظاهري رئيس قسم القراءة والتجويد بدار العلوم لندوة العلماء ، وكان على سفر ، فلم يتمكن من الحضور في صلاة الجنازة ومراسيم الدفن ، فخلفه نجله الأستاذ محمد معاذ رياض الندوي وجميع أفراد أسرته .

ونحن نتقدم بالتعازي القلبية إلى أسرة الفقيد : الأستاذ عابد متين الندوي ، وبنتيه الكريمتين وصهره الأستاذ المقرئ محمد رياض المظاهري على هذا الحادث ندعو الله تعالى أن يرحم الفقيد رحمةً واسعةً ، ويغفر له زلاته ، ويسكنه فسيح جناته ، ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

(٣) والدة الأستاذ المفتي محمد سرور الفاروقي الندوي في ذمة الله تعالى

توفيت والدة الأستاذ محمد سرور الفاروقي الندوي السيدة رابعة خاتون بنت الشيخ رشيد أحمد الفاروقي في الساعة الثامنة والربع ليلاً في مستشفى سحر بمدينة لكناؤ ، وذلك في ١٩/ رمضان ١٤٤٧هـ ، المصادف ٩/ مارس ٢٠٢٦م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة من النساء الصالحات القانتات ، قد درست الابتدائية والثانوية في المدرسة الإسلامية في محمد فور كونتي ، بمديرية فتح فور ، بولاية أترابراديش ، فكان من أساتذتها فيها الحافظ عبد العليم والحافظ جواد ، ولم تواصل دراستها من بعد ، لكنها ظلت مشتغلةً بالصلاة والصيام والإنفاق في سبيل الله وأدت فريضة الحج ، كما زارت المشاعر المقدسة ثلاث مرات ، وكانت مولعةً بتلاوة القرآن الكريم ، رغم أنها لم تحفظ القرآن الكريم ، لكن الآيات القرآنية كانت مستحضرةً في ذهنها ، وكانت تتلو يومياً حوالي ٢٦/ جزءاً من

القرآن الكريم في شهر رمضان ، هكذا كان دأبها طول حياتها ، وكان زوجها الشيخ محمد حنيف قد توفي في ٣٠/ أكتوبر ٢٠٠٩م ، وكان رجلاً كريماً ذا خلق طيب ، رحمه الله رحمةً واسعةً .

كان للراحلة ابنان ، وخمس بنات ، لكن ابناً واحداً وبنتين قد توفوا في صغر سنهم ، فلم يبق من أولادها الآن إلا ابن وثلاث بنات ، أما الابن فهو الأستاذ المفتي محمد سرور الفاروقي الندوي درس في دار العلوم لندوة العلماء ، وتخصص في الفقه الإسلامي ، ونال تربية الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى مدة ، كما استفاد بوجه أخص من علماء وأساتذة ندوة العلماء ، منهم الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، والمفتي محمد ظهور الندوي ، والأستاذ السيد عبد الله الحسني الندوي وغيرهم ، واشتغل كباحث في المجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ إلى مدة ، كما قام بالتدريس في قسم الصحافة والألسنة بدار العلوم لندوة العلماء ، وهو مكب الآن على أعماله التصنيفية والدعوية والإصلاحية ، بارك الله في حياته ، وله ارتباطات قوية بكاتب هذه السطور ، بارك الله في حياته ، وتقبل جهوده .

ونحن إذ نعزي الأستاذ المفتي محمد سرور الفاروقي الندوي على هذا الحادث ندعو الله تعالى أن يغفر الراحلة مغفرةً تامةً ، ويسبغ عليها شآبيب رحمته ، ويجمع الراحلة في جنة الفردوس مع فضليات النساء وأمهات المؤمنين ، ويلهم جميع أفراد أسرتها الصبر الجميل .

(٤) والد الأستاذ محمد ناصر الندوي إلى رحمة الله تعالى

توفي والد الأستاذ محمد ناصر الندوي البروفيسور محمد شرف الدين صباح يوم الأحد في ١٩/ شعبان ١٤٤٧هـ ، المصادف ٨/ فبراير ٢٠٢٦م ، بالغاً من ٨٣/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان البروفيسور محمد شرف الدين من بلدة مونغير بولاية بهار ، الهند ، درس الدراسات العصرية في جامعة مونغير ، ونال منها الشهادات العالية حتى عين أستاذاً لعلم الفيزياء في نفس الجامعة ، وظل على هذا المنصب إلى عام ٢٠٠٤م ، حتى تقاعد عن العمل .

كان البروفيسور محمد شرف الدين كثير الاتصال بالعلماء الكبار في الهند ، وخاصةً المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله ، وترك وراءه ستة أبناء وست بنات ، وزوجةً . أما الأبناء فقد درس منهم الأستاذ محمد عامر الندوي والأستاذ محمد ناصر الندوي في دارالعلوم لندوة العلماء وتخرج منها عام ٢٠٠٨م ، ويعمل الأستاذ محمد ناصر الندوي كموظف في المجمع الإسلامي العلمي بلكناؤ .

رحمه الله رحمةً واسعةً وأغدق عليه شآبيب رضوانه ، وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته .

الملفوظات

مجموعة نصائح وتوجيهات دعوية

للعالم الربّاني الشيخ الداعية

محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله

مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ

جمعها الشيخ المحدث العلامة

محمد منظور النعماني رحمه الله

مؤسس مجلة الفرقان.

ترجمة وتعليق

محب الرحمن عبيد الندوي

عميد الشؤون التعليمية في دار العلوم للإمام الربّاني

اعتنى بها

د. عادل حسن أمين اليماني الندوي

دار القلم

دمشق

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Monthly

Dispatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 72 Issue. No. 05, April 2026

إصدارات حديثة

إصدارات معهد الدراسات العلمية

مما يسر أهل العلم في العالم الإسلامي أن ندوة العلماء لا تزال تطبع وتنشر بحوث ورسائل الماجستير بدارالعلوم لندوة العلماء منذ سنوات ، وقد طبعت من قبل ثمانية كتب ، وطبعت عام ١٤٤٧هـ ثلاثة كتب ، وهي على ما يأتي :

(١) الكتب السماوية الثلاثة
في ضوء الواقع والتاريخ

تأليف :

محمد شهاب الدين الندوي

(٢) العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي
وتفسيره أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن

تأليف :

مدثر أحسن الندوي

(٣) الجاحظ ونبذة من آرائه التفسيرية
(عرض ودراسة)

تأليف :

محمد عفان الندوي

الناشر :

معهد الدراسات العلمية ، ندوة العلماء ،
لكناؤ (الهند)

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI